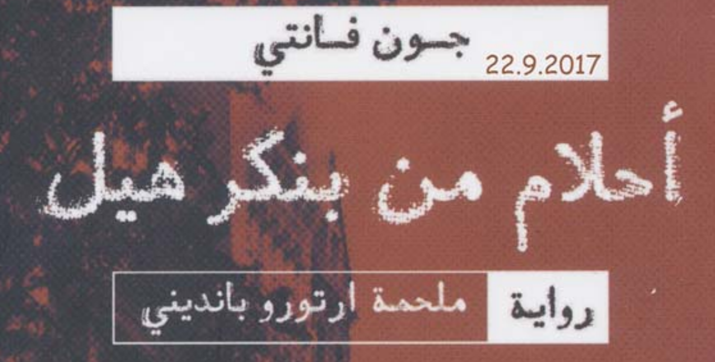


جـون فـانتي

22.9.2017

أحلام من بنكر هيل

رواية

ملحمة ارتورو بانديني

ترجمة أماني لازار

كلاسيكيات أثر Athar Classics

أحلام من بنكر هيل

الجزء الرابع من ملحمة آرتورو بانديني

رواية

جون فانتي

ترجمة

أماني لازر



أحلام من بنكر هيل

أحلام من بنكر هيل / رواية
جون فانتي
ترجمة: أماني لازر

الطبعة الأولى 1438 / 2016
ردمك 978-9938-880-51-9



دار أثر للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الدمام
تلفون: 00966505774560
الموقع الإلكتروني: www.darathar.net
البريد الإلكتروني: info@darathar.net

إهداء المؤلف

إلى جويس أيضًا

الفصل الأول

لم يكن تعثري بالشهرة للمرة الأولى يستحق الذكر إلا بالكاد. كنت أعمل نادلاً مساعدًا في محل ماركس لبيع الأطعمة المعلبة عام 1934. كان المحل يقع عند تقاطع الشارع الثالث مع شارع هيل في لوس أنجلس. كنت في الحادية والعشرين من عمري أعيش في عالم تحدّه من الغرب بنكر هيل، ومن الشرق شارع لوس أنجلس، ومن الجنوب ساحة بيرشينج، ومن الشمال سيفيك سنتر. كنت نادلاً مساعدًا منقطع النظير، بحيوية عظيمة وأسلوب احترافي، ومع ذلك كنت أتلقى أجرًا متدنيًا بصورة مريعة (دولارًا واحدًا في اليوم بالإضافة إلى الطعام) لقد حزت على اهتمام كبير وأنا أدور من طاولة إلى أخرى، أوازن صينية على يد واحدة، وأنتزع الابتسامات من زبائني. كان عندي شيء آخر إضافة إلى مهارة النادل أقدمه لزبائني، لأني كنت كاتبًا أيضًا.

ذاع صيت هذا الحدث ذات يوم بعد جلوس مصورة فوتوغرافية ثملة من صحيفة "لوس أنجلس تايمز" إلى البار، التقطت لي عدة صور وأنا أقوم على خدمة الزبائن وهي ترمقني بنظرات الإعجاب. في اليوم التالي نشرت صحيفة التايمز تقريرًا مطولاً مرفقًا بصورة. يحكي عن كفاح ونجاح الشاب آرتورو بانديني، فتى طموح يعمل بجد من كولورادو، اقتحم عالم المجلات الصعب ببيع القصة الأولى لمجلة The American Phoenix، عمل على تحريرها، بالتأكيد، الشخص الأكثر شهرة في الأدب الأمريكي، ومن يكون سوى هاينريك مولر.

مولر الطيب الكبير! كم أحببت ذلك الرجل! في الواقع، كانت محاولاتي

الأدبية الأولى رسائل موجهة إليه، تطلب منه النصح، مرسلاً إليه اقتراحات عن قصص قد أكتبها، وأخيرًا أرسلت إليه قصصًا أيضًا، الكثير من القصص، قصة أسبوعيًا، إلى أن بدا هاينريك مولر، الصعب المراس في عالم الأدب، النمر في عرينه، أنه يستسلم ويتنازل ليرسل إليَّ رسالة مؤلفة من سطرين، ثم رسالة ثانية من أربعة أسطر، وأخيرًا رسالة مؤلفة من صفحتين-أربعة وعشرين سطرًا، ثم العجب العجاب، شيكًا مصرفيًا بقيمة 150 دولارًا، دفعة كاملة لقاء أول قبول لي.

كنت أرتدي ثيابًا بالية يوم وصول الشيك. تدلت ثيابي الكولورادية الغريبة مني مزقًا، وكانت أول فكرة خطرت لي هي شراء ملابس جديدة. انبغى عليَّ أن أكون مقتصدًا لكن سليم الذوق، وهكذا نزلت من بنكر هيل إلى الشارع الثاني وشارع برودواي، والمتجر الخيري. سلكت طريقي إلى قسم أجود الأنواع ووجدت بذلة رجال أعمال زرقاء ممتازة مخططة بالأبيض. كان البنطال طويلاً للغاية وكذلك الأكمام، وكان ثمنها عشرة دولارات.

وبإضافة دولار واحد تم إصلاح البذلة، وبينما كان يتم الاعتناء بالأمر تجولت في قسم القمصان. كان ثمن القميص الواحد خمسين سنتًا من نوعية ممتازة وكلها على آخر صيحة. ثم اشتريت حذاءً-بنعل سميك ممتاز خفيض من جلد خالص، الحذاء الذي سيحملني على شوارع لوس أنجلس لأشهر عديدة قادمة. اشتريت أشياء أخرى أيضًا، عدة سراويل داخلية وقمصان قصيرة الأكمام، ودستة من الجوارب، وعدة ربطات عنق وقبعة (فيدورا)[1] فاخرة لا تقاوم.

أملتها جانبًا ببشاشة وخرجت من غرفة تبديل الملابس وسددت فاتورتي البالغة عشرين دولارًا. كانت المرة الأولى في حياتي التي أشتري فيها ثيابًا لنفسي. وأنا أعاين صورتي في المرآة الطويلة لم أستطع إلا أن أتذكر أن

1- قبعة مصنوعة من اللباد تحيط شريطة عريضة بقمتها.

أهلي طوال سنيّ التي عشتها في كولورادو كانوا مدقعي الفقر، فلم يكن في مقدورهم أن يشتروا لي بذلة حتى من أجل حفل توزيع الشهادات في المدرسة الثانوية. حسنًا، كنت في طريقي عندئذ، لا شيء بوسعه أن يوقفني. سيقودني هاينريك مولر، نمر عالم الأدب المزمجر، إلى قمة الركام. خرجت من المتجر الخيري وصعدت الشارع الثالث، رجلاً جديدًا. كان رئيسي آبي ماركس واقفًا أمام المحل وأنا أقترب.

"يا إلهي، بانديني!" قال هاتفًا. "هل كنت في المتجر الخيري أو ما شابه؟"

"المتجر الخيري!!" نخرت بازدراء. "هذا مباشرة من بولوك، أيها المغفل".

بعد يومين ناولني آبي ماركس بطاقة زيارة مكتوب فيها:

جوستاف دو مونت، درجة الدكتوراه.

وكيل أدبي

تحضير وتحرير

للكتب، والمسرحيات، والسيناريوهات، والقصص

إشراف تحريري خبير

513 الشارع الثالث لوس انجلس

غير مرغوب في العابثين

دسست البطاقة في جيب بذلتي الجديدة وركبت المصعد إلى الطابق الخامس. كان مكتب دو مونتفي أول الرواق. دخلت.

تمايلت غرفة الاستقبال مثل زلزال. التقطت أنفاسي ونظرت من حولي.

كان المكان مليئًا بالقطط. قطط على الكراسي، على الستائر القصيرة، على الآلة الكاتبة. قطط على خزائن الكتب، في خزائن الكتب. كانت الرائحة الكريهة طاغية. جاءت القطط ودارت من حولي، تضغط على ساقي، تتدحرج بمرح فوق حذائي. على الأرض وعلى سطح الأثاث كان يوجد غشاء من فراء القطط اندفع في حوض ماء. تقدمت إلى نافذة مفتوحة ونظرت إلى سلم النجاة. كانت القطط تعلو وتهبط. تسلق مخلوق كبير رمادي نحوي، في فمه رأس سمكة سلمون. حف بي وقفز إلى الغرفة.

عندئذٍ غلف أزيز فراء القطط الهواء. فتح باب المكتب الداخلي. كان واقفًا هناك جوستاف دو مونت، رجل مسن ضئيل الحجم بعينين كرزيتين. لوّح بذراعيه وهرع بين القطط زاعقًا.

"اخرجوا! اخرجوا! هيا جميعكم! حان وقت الذهاب إلى البيت!"

انسلت القطط ببساطة على مهلها، وقف بعضها على القوائم، وأمسك بعضها ببنطاله على نحو لعوب. كانت القطط أربابه. تنهد دو مونت، فرد يديه وقال:

"ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟"

"أنا من المحل في الأسفل. تركت بطاقتك".

"ادخل".

خطوت إلى مكتبه وأغلق الباب. كنا في غرفة صغيرة في حضرة ثلاث قطط تتدحرج فوق خزانة كتب. كانت من خيرة السنانير، فارسية ضخمة، تلعق براثنها بثقة مَلَكية بالنفس. حدقت بها. بدا دو مونت متفهمًا.

"مفضّلاتي"، ابتسم. فتح درج المكتب وأخرج خمسية ويسكي.

"ماذا عن وجبة خفيفة، أيها الشاب؟"

"لا شكرًا، دكتور دو مونت. لماذا رغبت في رؤيتي؟"

نزع دو مونت سدادة الزجاجة، تجرع منها جرعة كبيرة ولهث.

"قرأت قصتك. أنت كاتب جيد. ليس عليك أن تقذف اللحم المفروم. أنت تليق بأجواء أكثر تجاوبًا". تجرع دو مونت جرعة أخرى. "هل تريد عملاً؟"

نظرت إلى كل تلك القطط. "ربما. ماذا في بالك؟"

"أحتاج إلى محرر".

استنشقت حدة كل تلك القطط. "لست واثقًا من أني أستطيع تحملها".

"هل تعني القطط؟ سأعتني بذلك".

فكرت لدقيقة. "حسنًا.. ماذا تريدني أن أحرر؟"

شرب من الزجاجة مجددًا. "روايات، قصص قصيرة، أي شيء".

ترددت. "هل يمكنني أن أرى المادة؟"

حطت قبضته على كومة من المخطوطات. "انظر بنفسك".

رفعت المخطوط الذي في الأعلى. كانت قصة قصيرة، من تأليف جنيفر لافليس، معنونة: "حب عند الفجر". تأوهت.

تجرع دو مونت جرعة أخرى. "إنها مريعة"، قال. "كلها مريعة. لم يعد في وسعي قراءتها. إنها أسوأ كتابة رأيتها على الإطلاق. لكن هناك مالاً إذا كان لديك الشهية. كلما كانت أسوأ نلت نقودًا أكثر".

عندئذ كان صدر بذلتي الجديدة مكسوًا بفراء القطط. حكَّني أنفي وشعرت بأن العطاس قادم، لكنني خنقته.

"كم الأجر؟"

"خمسة دولارات أسبوعيًا".

"اللعنة، هذا يعني دولار واحد في اليوم".

"لا شيء في ذلك".

اختطفت الزجاجة وارتشفت جرعة. حرقت حلقي. كان للمشروب طعم بول القطط.

"عشرة دولارات في الأسبوع أو لا اتفاق".

أقحم دو مونت قبضته. "لنتصافح،" قال. "تبدأ يوم الإثنين".

حضرت صباح الاثنين إلى العمل في الساعة التاسعة. كانت القطط قد رحلت. النافذة مقفلة. وغرفة الاستقبال مرممة. كان هناك مكتب لي بجانب النافذة. كل شيء كان نظيفًا ومنفوضًا عنه الغبار. لم تعلق بإصبعي شعرة واحدة من فراء القطط عندما مسحت به عتبة النافذة. تنشقت الهواء.

كانت رائحة البول لا تزال فواحةً لكنها مقنَّعة برائحة قوية لمبيد الجراثيم. كان هناك رائحة أخرى أيضًا-مادة طاردة للقطط. جلست إلى المكتب وجذبت الآلة الكاتبة. كانت قديمة من ماركة أندروود. لففت صفحة من الورق تحت البكرة وجربت لوحة المفاتيح. اشتغلت الآلة مثل قطاعة أعشاب صدئة. فجأة شعرت بالسخط. كان هناك أمر في هذا العمل جعلني أخشاه. لم عليَّ أن أعمل على منتَج شخص آخر؟ لَم لمْ أكن في غرفتي أكتب أشيائي؟ ماذا سيفعل هاينريك مولر في مثل هذه الحالة؟ بالتأكيد كنت أحمقًا.

فتح الباب وكان هناك دو مونت. تفاجأت لرؤيته مرتديًا قبعة باولر[1]، سترة رمادية تحت معطف يشبه رداء الراهب، طماق الكاحل، ويتباهى بعصا المشي. لم أسافر إلى باريس يومًا لكن مرأى الرجل الأنيق الضئيل جعلني

1- سميت على اسم صانع القبعات الإنجليزي وليم باولر الذي صممها.

أفكر فيها. هل كان مجنونًا؟ فجأة فكرت في أنه كذلك.

"صباح الخير،" قال. "كيف تجد مسكنك؟"

"ما الذي حل بالقطط؟"

"المادة المستخدمة في التدخين"، قال. "طردتهم. لا تقلق. أعرف القطط. لن تعود". علق قبعته والعصا على علاقة ملابس مثبتة على باب. ثم سحب كرسيًا وجلسنا متحاذيين إلى المكتب. التقط المخطوط الذي في أعلى الكومة، "حب عند الفجر" لجنيفر لافليس، وبدأ يعلمني فن التنقيح الأدبي. فعل ذلك بوحشية، لأنه في الحقيقة كان عملاً وحشيًا. قلم أسود في يده، علّم ووضع خطوطًا وحذف جملاً، وفقرات، وصفحات بأكملها. دميَ المخطوط بالفعل من التمثيل به. سريعًا فهمت الفكرة وفي نهاية اليوم كنت أعمل بنجاح.

في وقت متأخر من الأصيل سمعت طرقًا على النافذة. كان قط ذكر مسن بوجه مكدوم بائس. يحدق بي من خلال الزجاج، يمسح خطمه به ثم يلعقه مترقبًا. تجاهلته للحظات، وعندما نظرت ثانية وجدت قطتين أخريين معه على عتبه النافذة، تحدقان بي تطلبان الحسنة كاليتامى. لم أستطع أن أتحمل. نزلت بالمصعد إلى المحل ووجدت بعض شرائح البسطرمة في سلة المهملات. لففتها بمنديل وأخذتها إلى القطط. عندما فتحت النافذة دهمت الغرفة وأكلت بضراوة من يدي.

سمعت دو مونت يضحك. كان على عتبة مكتبه، بين ذراعيه واحدة من قططه الفارسية الثلاث.

"عرفت أنك رجل قطط".

الفصل الثاني

استغرقت ثلاثة أيام في مراجعة قصة جنيفر لافليس. كانت نسختها مكونة من ثلاثين صفحة. اقتصرت نسختي على النصف. لم تكن قصة سيئة حقًا، كانت ببساطة سيئة الصياغة والأسلوب، تدور القصة عن ستة مدرسين يقطعون السهول في عربة مغطاة، يتناوشون مع الهنود والمجرمين، ويصلون أخيرًا إلى ستوكتون. كنت مستمتعًا بما فعلته وأخذت المخطوط إلى دو مونت. رفعه وتجهم.

"ألا يمكنك أن تضيف عشر صفحات أخرى؟" سأل.

"إنها طويلة بما فيه الكفاية،" أصررت. "لن أضيف سطرًا واحدًا. أظن أن جنيفر لافليس ستحبها".

تناول الهاتف. "سأخبرها بأن النص جاهز".

كنت أطعم القطط عصر اليوم التالي عندما وصلت جنيفر. كان جمالها مذهلاً. ترتدي بذلة من الكتان الأبيض وجوارب سوداء شفافة وحذاء أسود، وتتدلى من ذراعها حقيبة يد سوداء. كان شعرها زبدًا أسود براقًا، ووجهها جميلاً، مضاءً بعيون سوداء. عندما نظرت إليها كان هناك الكثير كي أراه، ووقعت عيناي على محيط جسدها، شهوانية خصرها وردفيها، معذبة متحدية، لا تصدق. لقد نظرت إلى آلاف النساء الجميلات منذ وصولي إلى لوس أنجلس لكن جمال جنيفر لافليس أمسك بي من حنجرتي.

"مرحبًا"، قلت، ومشيت متعثرًا.

"مساء الخير"، ابتسمت. "أنا جنيفر لافليس. هل الدكتور دو مونت موجود؟"

"سأرى. تفضلي بالجلوس".

تموجت في كرسي مثل وسادة جميلة من الساتان وراقبت حركة ركبتيها، فخذيها، وركيها. ثنت يديها الرائعتين في حجرها واستشعرت اعتدادًا بالنفس. طرقت على باب دو مونت وطلب مني الدخول. دخلت وأغلقت الباب بحذر وهمست: "إنها هنا!"

"صه!" قال دو مونت، ضاغطًا على شفتيه. "دعها تنتظر قليلاً. إنها ثرية".

"تبدو ثرية".

سحب دو مونت ساعة ذهبية من جيب سترته وحدق بها ما بدا أنه وقت طويل. ثم قال فجأة: "الآن! دعها تدخل!"

فتحت الباب ووجدتها جالسة هناك بثقة وثبات، مثل ملكة.

"أرجوك ادخلي"، قلت.

"شكرًا لك"، قالت وهي تنهض. وعندما تقدمت نحو مكتب دو مونت رأيت ظهر بذلتها يغطيه فراء القطط.

"انتظري!" قلت. توقفت ونظرت إليّ ذاهلة. هذه كانت فرصتي. جثوت على ركبتي خلفها وبدأت أنفض فراء القطط من على ردفيها البهيين، وأتحسس الفخذين المشدودين القويين، واستدارة مؤخرتها المتألقة. التفتت سريعًا.

"ماذا تفعل؟" سألت. "ماذا بحق الأرض؟"

"القطط"، قلت مادًا يديّ الاثنتين وقد غطاهما فراء القطط.

فتلت جذعها لتنظر إلى الفراء العالق، وبدأت تنفضه بيد واحدة. زحفت لمساعدتها ودفعتني بعيدًا.

"أرجوك"! ناشدتني. "دعني وشأني" عندئذ كان دو مونت إلى جانبها، همامًا رابط الجأش.

"تعالي عزيزتي"، استرضاها مرشدًا إياها لتدخل من الباب ثم أغلقه خلفها. انحنيت على الأرض مشوشًا ومحرجًا والقطط تدور من حولي تعول طالبة الطعام.

ران صمت في مكتب دو مونت. جاثيًا حدقت من ثقب المفتاح بجنيفر الجالسة مقابل مكتب دو مونت. كان وجهها متجهمًا بحدة وهي تقرأ النسخة المنقحّة من قصتها.

"مخطوطتي!" لهثت. "ما الذي حل بها؟" تحسست حقيبتها. "أعطني سيجارة من فضلك".

قدم لها دو مونت واحدة.

"ما الذي فعلته بقصتي يا دكتور دو مونت؟ لقد دمرتها.. قصتي الجميلة! كيف أمكنك فعل ذلك بي؟"

رفع دو مونت راحتيه مهدئًا "لم أفعل شيئًا يا عزيزتي"، كذب. "ليس لدي فكرة لأنه هو من فعل ذلك".

جنيفر لافليس تصلبت. "هو؟ من هو؟"

لم ينبس دو مونت ببنت شفة. أومأ بارتباك فقط نحو باب غرفة الاستقبال. عندما قفزت جنيفر لافليس على قدميها، ابتعدت نحو الردهة، ونزلت الدرج، نحو المحل، وخرجت من الباب الخلفي إلى الزقاق. وجدت هناك صندوقًا للطرود فجلست عليه ودخنت سيجارة، يداي ترتجفان.

لحظت من حولي القطط، نفس المجموعة التي زارت مكتبي. نظرت إليَّ باستغراب تتساءل عما أفعله في ربوعها.

نظرت إلى نافذة مكتبي. لن أتمكن من العودة إلى هناك. لن أعود. شعرت بالخيانة. خدعني دو مونت. كان التحرير العنيف لنص جنيفر يملؤني بالعار ذلك الوقت. إذا ما انتهك أحدهم عملي بتلك الطريقة قد أضربه. تساءلت عما قد يقوله هاينريك مولر حول نزاهتي. نزاهة! ضحكت. نزاهة-شجاعة. كنت لا شيء، صفرًا. إلى الجحيم. قررت أن أذهب لشراء بنطال. لا يزال بحوزتي أكثر من مئة دولار. سوف أنفق وأنسى مشاكلي في تبذير مسرف. وما النقود على أية حال؟

في المتجر الخيري اخترت وقست ثلاثة سراويل. بطريقة ما لم يكن تأثيرها كبيرًا علي. نظرت إلى نفسي في المرآة الطويلة وكنت هناك-الشخص عديم القيمة، الصفر. مخجل في حضرة هاينريك مولر، أسد الأدب.

عبرت تقاطع شارعي الثالث وهيل إلى آنجل فلايت، صعدت عربة الترولي (الترام) وجلست. كان الراكب الآخر الوحيد فتاة في الجهة الأخرى من الممر تقرأ كتابًا. كانت ترتدي حلة بسيطة ودون جوارب. كانت جذابة لكن ليست من النوع الذي أفضله. عندما تمايلت العربة منطلقة انتقلت إلى مقعد آخر. ليس لها مؤخرة على الإطلاق، فكرت. مؤخرة نعم، لكن ليس لها بهجة مؤخرة جنيفر لافليس. دون نبل، دون فخامة. شيء جميل. مجرد مؤخرة عادية جدًا. لم يكن يومي.

نزلت من العربة عند قمة آنجل فلايت وهبطت الشارع الثالث إلى فندقي. ثم قررت أن أتناول فنجانًا من القهوة وسيجارة في مطعم ياباني صغير على بعد عدة أبواب قدمًا. أثارت القهوة كآبتي وذهبت إلى فندقي. جلست صاحبة الفندق خلف المكتب في البهو. أول ما لحظته كان نسخة مجلة The American Phoenix. كانت تمامًا حيث وضعتها منذ ثلاثة أسابيع.

ساخطًا تقدمت فجأة نحو المكتب وتناولتها.

"لم تقرئيها، أليس كذلك؟"

ابتسمت بعدائية. "لا، لم أفعل".

"لم لا؟" قلت.

"لقد مللت منها. قرأت الفقرة الأولى وكان هذا كافيًا بالنسبة إلي".

وضعت المجلة تحت ذراعي.

"سأنتقل" قلت. "قريبًا جدًا".

"افعل ما يحلو لك".

انسحبت إلى الردهة. عندما أدرت المفتاح في بابي سمعت طقة قفل في الجهة الأخرى منها. فتح الباب وخرجت فتاة العربة. لا تزال تحمل الكتاب. كانت رواية "نانا" لزولا. ابتسمت محيية.

"مرحبًا!" قلت. "لم أكن أعرف بأنك تسكنين هنا".

"لقد انتقلت توًا".

"هل تعملين هنا؟"

"أتصور أن في مقدورك قول ذلك". ورمقتني بنظرة شهوانية. "هل تحب أن تراني؟"

"متى؟"

"الآن، ما رأيك؟"

لم أرغب فيها. لم يغوني فيها شيء، لكن كان عليَّ أن أكون رجوليًا. لا تسوى هذه الحالات إلا بطريقة واحدة.

"بالتأكيد"، قلت.

أضاءت اللهب البالغ الصغر من الشهوانية في عينيها ودفعت بابها.

"ما الذي ننتظره؟" قالت.

ترددت. ليساعدني الرب، فكرت وأنا أعبر الردهة ودخلت غرفتها. تبعتني إلى الداخل وأغلقت الباب.

"ما اسمك عزيزي؟"

"آرتورو"، قلت، "آرتورو بانديني".

مدت يديها وخلعت عني معطفي.

"بكم؟" سألت.

"خمسة دولارات".

وجهتني لأصبح مقابلاً لها وبدأت تفك أزرار قميصي وعلقته على الكرسي ومضت إلى الحمام.

"أراك بعد قليل".

دخلت الحمام وأغلقت الباب. جلست على السرير وخلعت ملابسي. كنت عاريًا حين خروجها. حاولت أن أخفي خيبتي. كانت نظيفة ومستحمة لكن دنسة بشكل ما. تدلت مؤخرتها مثل طفل يتيم. لن نفعل ذلك معًا أبدًا. كان تواجدي هناك جنونًا. أمسكت بذراعي وقادتني إلى الحمام. غسلت بالصابون سوءتي ودلكت بأصابعها مفاصلي بإصرار، لكن لم يكن هناك استجابة. لم أستطع أن أفكر إلا في جنيفر لافليس وفي رقة خاصرتيها. ثم جففتني وعدنا إلى غرفة النوم واستلقينا على السرير. تمددت عارية واستلقيت بجانبها.

"هيا"، قالت. استكشفت بإصبع شعر عانتها.

"هل تمانع إذا قرأت؟" قالت. "ناولني كتابي".

أعطيتها الكتاب وفتحته في الصفحة التي وصلت إليها وبدأت تقرأ. استلقيت هناك وتساءلت. يا إلهي ماذا لو دخلت أمي؟ أو أبي؟ أو هاينريك مولر؟ أين سينتهي كل ذلك؟ أومأت نحو وعاء تفاح موضوع جانبًا.

"هل تريد تفاحة؟" سألت.

"لا شكرًا"

"أعطني واحدة من فضلك".

ناولتها تفاحة. وهكذا قرأت وأكلت.

"هيا عزيزي"، لاطفتني. "متع نفسك".

لوحت بساقي خارج السرير ووقفت.

"ما الخطب؟" سألت بصوت عدائي.

"لا تقلقي. سأدفع لك".

"هل تود أن أمص لك؟"

"لا"، قلت.

صفقت الكتاب.

"هل تعرف ما مشكلتك أيها الصغير؟ أنت شاذ. هذه هي مشكلتك. أنت مثليّ. أعرف أمثالك".

اختطفت معطفي، بنطالي، سروالي التحتي، حذائي وجوربي، فتحت الباب ورمت كل شيء في الردهة. خرجت وبدأت بجمع حاجياتي.

"أدين لك بخمسة دولارات"، قلت.

"لا لست مدينًا. لا تدين لي بشيء".

تلمست جيب معطفي باحثًا عن المفتاح. في آخر الردهة كانت السيدة براونيل صاحبة الفندق تراقبني ويداها مفرودتان. أدرت المفتاح وقفزت داخل غرفتي.

شعرت بالارتياح، بالنجاة، بالخلاص. ذهبت إلى النافذة لأنظر إلى المدينة العظيمة المنبسطة تحتي. كان مثل منظر للعالم عمومًا. بعيدًا في الجنوب الغربي كانت الشمس تضرب المحيط بألواح من ضوء كثيف. رسالة من الله. إشارة. الطفل يسوع في المذود. ضوء من نجمة بيت لحم. ركعت على ركبتي.

"أوه أيها الطفل المبارك يسوع" صليت. "شكرًا لك لأنك أنقذتني هذا اليوم. مبارك أنت على دفعة الطيبة الإلهية التي أخرجتني من غرفة الإثم تلك. أقسم الآن بأني لن أذنب مجددًا. لبقية حياتي سأتذكر شفاعتك المجيدة. شكرًا لك، يا ابن الله الصغير. أنا عبدك المخلص للأبد من الآن فصاعدًا".

رسمت إشارة الصليب ونهضت. كم شعرت بأني صالح! كم شحنت بمشاعر صباي المبكر! كان عليَّ أن أتصل بجنيفر لافليس. ارتديت ملابسي وخرجت إلى البهو. عند الهاتف العمومي اتصلت برقم دو مونت.

"ما الذي حصل لك؟" سأل.

"أنا في الفندق. ما هو رقم جنيفر لافليس؟"

أعطاني الرقم ودونته.

عدت إلى غرفتي وجلست إلى الآلة الكاتبة. كتبت لمدة خمس عشرة دقيقة صفحتين تسحقان القلب. طويت الورقة وخرجت من الفندق إلى الهاتف العمومي في الجهة الأخرى من الشارع واتصلت بجنيفر. وأنا أفتح ورقة

ملاحظاتي سمعت الهاتف يرن.

"مرحبًا"، كانت هي.

"جنيفر، أنا آرتورو بانديني".

ران صمت. رشح العرق من جلدي. ارتجف صوتي.

"جنيفر، أريدك أن تسامحيني. لا أعرف لم خربت مخطوطتك الجميلة. كانت ببساطة مسألة عدم خبرة. أنا كاتب جيد، جنيفر. يمكنني أن أثبت ذلك. سأجلب لك بعضًا من أعمالي. سترين أي كاتب رائع أنا. لم أقصد أن أدمر مخطوطتك. أنا لست ناقدًا، جنيفر. أنا فقط اتبعت تعليمات دو مونت. لقد ارتكبت خطأ شنيعًا. ألن تدعيني أراك وأشرح؟ أود أن أخبرك أي موهوب رائع أنا. من فضلك، جنيفر. أعطني فرصة لأشرح..."

كان يمكن قول المزيد لكنها قاطعتني.

"ماذا عن الأحد؟"

"أي يوم، أي وقت، أنت حددي".

أعطتني عنوانها في سانتا مونيكا ودونته.

"شكرًا لك جنيفر. لن تندمي".

أغلقت الخط.

الفصل الثالث

تضرب الشمس وجهي مثل عين ذهبية واسعة، وتوقظني. كان صباح يوم الأحد يعد بنهار مشرق ومجيد. اندفعت من السرير فتحت النافذة على مصراعيها وناديت العالم، مرحبًا أيها العالم! حظًا سعيدًا لكم جميعًا! يوم طيب، يوم منعش. تذكرت والدي في كولورادو عند حوض المطبخ في صباح ربيعي مشرق، يغني بسعادة وهو يحلق بأغنية O Sole Mio. وقفت أمام مرآة الحمام وغنيتها أيضًا. أوه يا إلهي كم شعرت بشعور حسن! كيف أمكن ذلك؟ ومن أجل الفطور قشرت وأكلت برتقالتين.

مرتديًا بذلتي المخططة التي اشتريتها من المتجر الخيري وقبعتي الفيدورا العصرية، تأبطت نسخة من مجلة The American Phoenix ومشيت بخطى واسعة كي أخضع امرأة. سرت في شارع أوليف في صباح أحد صافي. بدت المدينة مهجورة، كان الشارع هادئًا. توقفت وأصغيت. سمعت شيئًا. كان صوت السعادة. كان قلبي ينبض برفق، على نحو متناغم. ساعة، هذا ما كنته، آلة سعادة صغيرة. عبرت الشارع الخامس إلى فندق بالتيمور. دخل أناس أنيقو المظهر وخرجوا من الأبواب الدوارة. كانوا أناسًا مثلي، متأنقين، من أرقى الطبقات. وقف بواب في المدخل الرئيس يرتدي زيًا رسميًا. بدا أن قامته بطول عشرة أقدام عندما حيّاني. ورددت التحية.

"هل تعرف كم الساعة، سيدي؟" سألت.

"نعم، سيدي". نظر إلى ساعة معصمه. "إنها الحادية عشرة، سيدي".

"شكرًا لك، سيدي".

مشيت نحو الحاجز الحجري ونظرت إلى طابور سيارات الأجرة الطويل، ينتظر سائق في كل واحدة منها. فجأة خطرت لي فكرة. سوف أستقل سيارة أجرة إلى منزل جنيفر. أردت طوال حياتي أن أستقل سيارة أجرة، لكن لم أفعل لعدة أسباب، كلها مالية. الآن بوسعي أن أفعل. يمكنني الحضور بأسلوب مميز. يمكنني اجتياح منزلها، أنتظر حتى يفتح السائق الباب ثم أقفز مثل أمير. أتى البواب إلى جانبي.

"سيارة أجرة، سيدي؟"

"نعم، سيدي". فتح باب أقرب سيارة وركبت. تمايل السائق ونظر إلي.

"إلى أين، سيدي؟"

"1724 الشارع الثامن عشر، سانتا مونيكا".

"بعيد جدًا"، قال.

"لا يهم" أجبته. "بلا أدنى أهمية".

انحرفت سيارة الأجرة عن الحاجز الحجري، انعطفت يمنة عند الشارع السابع، ثم إلى اليمين عند شارع هوب نحو جادة ويلشاير. راقبت الشارع والمتاجر وشعرت بغصة في حلقي. يا لها من مدينة رائعة! انظر إلى كل أولئك الأشخاص الظرفاء يسيرون في أرديتهم الجميلة وهم يخرجون من الكنائس وينظرون إلى الواجهات على طول الجادة المتألقة. لا شك في ذلك، هذا كان يومي، وتلك مدينتي.

كان سائق السيارة محقًا. فالمكان بعيد جدًا بأجرة قدرها سبعة دولارات وعشرون سنتًا. ضرب العداد وتحققت من المبلغ النهائي. خرجت من السيارة وناولت السائق ورقة بقيمة عشرة دولارات. أعاد لي الباقي تمامًا، قمت بعده. ثم خطر لي أن دفع البقشيش كان عرفًا أيضًا. كان يراقبني. ناولته قرشًا.

تلوّت شفتاه، قال: "شكرًا يا هذا".

استدرت ونظرت إلى منزل جنيفر. كان خارجًا من الإوزة الأم[1]، ثمرة خيال فكتوري أصفر وأبيض له قبتان على كل ركن من ركني الطابق الثاني. كانت القبتان مزركشتين بألواح خشبية من مكبات منحوتة وتصاميم معقدة من زخارف حلزونية وأشكال مبرومة. كان كعكة زفاف، تامًا في كل تفصيل فيما عدا العروس والعريس. انتصب هناك بسور من أشجار تنوب ضخمة، في غير محلها بغرابة، تنتمي بدلاً من ذلك إلى أرض أوز [2]. منزل جنيفر! رأيت الكراسي الكبيرة المريحة على الشرفة وابتسمت لفكرة أن مؤخرتها الرائعة قد شرفتها جميعًا.

جاءت إلى الباب وأنا أصعد درج المدخل.

"مرحبًا!" ابتسمت. "سعيدة بقدومك. ادخل من فضلك".

دفعت باب المنخل ودخلت. كانت الغرفة مبهرة. بيانو كبير، كراسٍ فخمة، سرخس بوسطني عملاق، مصابيح تيفاني [3]. ولوحات كبيرة زيتية فوق الموقد لطفلة بشعر مجعد طويل. منحتني وقتًا كافيًا لمعاينة اللوحة وهي تشرح أنها صورتها.

"اجلس"، قالت. "أمي وأبي في القداس. لابد من أن يعودا قريبًا".

"هل ذهبت إلى القداس هذا الصباح؟" سألت.

"أوه نعم، هل أنت كاثوليكي؟"

1- (Mother Goose): وهي كاتبة متخيلة لمجموعة حكايات وتهويدات في أدب اللغة الإنجليزية.

2- أرض أوز وهو بلد متخيل ورد ذكره لأول مرة في رواية الكاتب الأمريكي ليمان فرانك بوم التي كتبها للأطفال عام 1900 بعنوان ساحر أوز العجيب.

3- وهي مصابيح لها ظلة مصنوعة من الزجاج صممها لويس كومفورت تيفاني.

"وماذا يمكن أن أكون؟" ابتسمت. "كانت الكنيسة جزءًا من عائلتي لأجيال".

"إذًا ذهبت إلى القداس هذا الصباح؟"

"بطبيعة الحال. تفويت القداس ذنب لا يغتفر. بالتأكيد تعرفين ذلك".

ابتسمت. "بالتأكيد".

جلست. "في واقع الحال دخلت في نقاش لاهوتي مع كاهن الاعتراف هذا الصباح".

مهدت مقعد بذلتها الصفراء وهي تجلس. ملأت مؤخرتها الكرسي مثل بيضة جميلة في عش.

"أين تقع كنيستك؟" سألت.

كنت أعرف أنه في مكان ما في لوس أنجلس كانت توجد كنيسة القديسة ماري وأجبت: "كنيسة عذراء غوادلوب".

"أليست بديعة؟" هتفت. "أحب تلك الكنيسة".

"أصلي هناك غالبًا".

"كنت تقول شيئًا عن نقاش مع كاهن اعترافك. ماذا تعني؟"

"سأخبرك، لكن فقط بسرية مطلقة. الطابع المقدس لكرسي الاعتراف".

لهثت ويدها مست نهدها. "هل كان عليك؟" سألت.

"وجب عليَّ"، قلت. قلبت كفي في حجري للحظة أو اثنتين ثم تابعت.

"تتذكرين فجور مخطوطتك؟ هل نسيت كيف دمرتها بتجاهل طائش لمشاعرك؟ هل نسيت غضبك على تلك الإساءة؟"

أومأت بمهابة.

"عندما دخلت إلى كرسي الاعتراف وواجهت الكاهن كان سؤالي هل ارتكبت ذنبًا لا يغتفر في تدمير عملك؟ هل كان هجومًا مبالغًا فيه ضد القانون الإلهي؟ هل سيسامحني عليه؟ نظر الكاهن إلي من خلال المنخل وفكر للحظة ثم قال: "تدنيس أي عمل فني واحد من أعظم الذنوب تجاه القانون الإلهي".

بدت متأثرة إلى حد بعيد ووقفت.

"هل تحب الكوكا سيد بانديني؟"

"نعم، شكرًا لك".

مشت بسرعة نحو المطبخ، تبعتها مؤخرتها العظيمة في إيقاع احتفالي.

لحقت بها وتناولت زجاجتي كولا من الثلاجة وناولتني واحدة. فتحنا الزجاجتين وشربنا. كان هناك سلة رحلات مغطاة على الطاولة، رفعت الغطاء وألقيت نظره عليها.

"هذا من أجلنا"، قالت.

"هل سنذهب إلى مكان ما؟"

"الشاطئ".

"المحيط؟"

"بطبيعة الحال".

"هل يمكننا السباحة؟"

"ولهذا نحن ذاهبان".

"لا أملك لباسًا للبحر".

"يمكنك أن تستعير واحدًا من أخي".

أنهينا شرب الكوكا.

"لنذهب"، قالت.

حاملاً سلة الرحلات، تبعتها عبر الدرج الخلفي إلى المرآب حيث كانت تقف سيارة شيفي ببابين. وضعت السلة في المقعد الخلفي وانزلقت بجانبها. أدارت المحرك وهبطت الزقاق إلى الشارع المقابل ودخلت في الزحام.

على بعد ميل شمال رصيف سانتا مونيكا على الطريق السريع لساحل المحيط الهادئ كان هناك مجموعة من أكواخ الشاطئ، مسفوعة وقديمة جدًا. انحرفنا نحو الحاجز الحجري وترجلنا. قادنا الدرب الخشبي عبر سياج مرتفع إلى واحد من دستة أكواخ مبنية على الرمل. أدارت المفتاح في باب أولها ودخلنا. الكوخ ملك لعائلتها. لم يكن فاخرًا-فرن، وثلاجة، وطاولة وكراس. بجانب المطبخ توجد غرفتا نوم. دخلت إلى واحدة وخرجت مرتدية لباس بحر أسود، وناولتني واحدًا. بينما كنت أخلع ثيابي خرجت وركضت نحو الأمواج المتكسرة. تعريت من ملابسي وقطبت لمرأى جسدي الأبيض الناصع. ذكرني بخنزير زهري اللون، ووجلت للصدمة على وجهها عندما أظهر. لكنها لم تكن مصدومة على الإطلاق وهي تتمدد على الرمل الدافئ وتقرأ مجلة The American Phoenix من خلال نظارات سوداء مؤطرة بإطار مصنوع من قرون الحيوانات.

كان المحيط مذهلاً. نسيت جسدي الشاحب الكئيب وحدقت بعجب. كان الشاطئ مهجورًا تقريبًا. جاءت مجموعة من الأطفال، هرولوا خلفي وتوقفوا يحدقون بي، ثم قهقهوا، وواصلوا الهرولة. سمحت للأمواج الصغيرة بحذر أن تغطي إبهامي قدمي وأنا أرش الماء مستمتعًا. انتقلت تدريجيًا إلى الماء الأكثر عمقًا وبدأت أسبح، منتعشًا بالأمواج الباردة النفاذة الرائحة. بدت كولورادو بعيدة جدًا. قلت لنفسي إن أمي عند هذه اللحظة قد تكون وصلت إلى البيت عائدة من القداس لتحضر الغداء. ربما كانت

تفكر فيَّ بينما أفكر فيها. واصلت النظر إلى جنيفر. كانت منشغلة بالمجلة ولم تلق لي بالاً. وقفت أمامها ولفت انتباهها.

"انظري!"

أديت شقلبة يدوية، ثم ثانية، وثالثة. ابتسمت بغموض وعادت إلى المجلة. كنت أعرف ألعابًا أخرى، لأني كنت عضوًا في الفرقة البهلوانية في جامعة كولورادو.

"انظري إلى هذه!"

أديت عددًا من الشقلبات الجانبية. رفعت نظرها وابتسمت ابتسامة حيرى.

"انظري هذه!"

نهضت على يدي وسرت نحو الماء حتى غمرت يدّيَّ وكتفَيَّ في الماء. ثم فقدت توازني. نظرت نحو الشاطئ. كانت جنيفر قد رحلت. رأيتها تخوض في الرمل وتدخل الكوخ. تبعتها.

كانت تخرج أشياء من سلة الرحلات -خس، بصل، بندورة- تغسلها في الحوض، ثم تقطعها في إناء خشبي. وضعت مئزر نادلة فوق لباس البحر الأسود الصقيل. فغرت له فاهي. كان شكلها شهوانيًا، معذبًا، لا يقاوم. أشعلت سيجارة واهتزت يدي، وفكرت أن اللحظة قد حانت. إما الآن أو لن يحدث. لا تكن دمية. تحرك. هذه الفرصة لن تتكرر ثانية. كن شجاعًا. ليس لديك ما تخسره. كل شيء سيكون مكسبًا. وقفت وطوحت نفسي عليها، وقعت على ركبتي ورميت ذراعي حول خصرها.

"أحبك"، قلت. "أريدك".

لوت وركيها الجميلين لتفلت من قبضتي. التصقت مثل نمر. رفعت

طبق السلطة وألقت به على رأسي. شعرت بسيل صلصة المايونيز وزيت الزيتون والخضار وأنا ممدد على الأرض، أجرجرها فوقي.

"أنت أحمق"! صرخت. "دعني! أيها الأحمق المجنون!"

كنا عالقين في نوع من عنف لا يفسر، نتصارع، ننزلق على الأرض، نتقاتل في معركة فارغة من المعنى. صرخت عندما ضربت مؤخرتها. نهضت على يديها وركبتيها وزحفت بعيدًا عن قبضتي ودخلت إلى غرفة النوم، ورفست الباب مغلقة إياه.

جلست ألهث في مستنقع صلصة السلطة. ما الذي فعلته؟ كانت على الأرض المتسخة نسختي من مجلة The American Phoenix، ملوثة بالزيت والمايونيز. ماذا الآن، سألت. اذهب، قلت. اهرب. اخرج من هنا. زحفت إلى كرسي ورأيت آثار خدوش على صدري وساقي. نهاية العالم. نهايتي. نهاية حبي. فتح باب غرفة النوم وخرجت. كانت تجفف جسدها مزيلة صلصة السلطة. لم تنبس بكلمة.

"أنا آسف"، قلت.

"أنت ابن زانية"! قالت. التقطت مفاتيحها من على الطاولة وذهبت نحو الباب. "وأمر آخر" قالت فجأة، "ليس هناك كنيسة تدعى كنيسة قديسة عذراء الغوادلوب!"

خرجت. تبعتها عبر البوابة الرئيسة نحو الطريق السريع. ركبت سيارتها وانطلقت مبتعدة.

أردت أن أبكي، لكن حماقتي استحوذت علي. عدت إلى الكوخ، خلعت سروال السباحة وأخذت حمامًا باردًا. جففت جسدي، ارتديت ثيابي، وأغلقت أبواب الكوخ، وخرجت إلى جانب الطريق السريع. في الجهة الأخرى من الشارع كان السابحون ينزلون الدرب المتحدر من أعلى

الأسيجة. عبرت الطريق السريع وبدأت أصعد الدرب. قادني إلى جادة المحيط وشارع محطة السيارات. ركبت سيارة وعدت إلى فندقي.

عندما أدرت المفتاح في بابي سمعت صوت مذياع عبر الردهة. كانت الأغنية "Begin the Beguine". دخلت غرفتي، خلعت ملابسي، وارتديت برنس الحمام. آنئذ كانت الظلمة قد حلت تقريبًا، ظلمة ووحدة وشبق. غادرت غرفتي، عبرت الردهة، وطرقت على بابها. أطفئ المذياع ونادت:

"ادخل".

فتحت الباب.

كانت ممددة على السرير وترتدي سروالاً تحتيًا وردي اللون، ولا تزال تقرأ رواية "نانا". تجهمت.

"ماذا تريد؟"

"لنتضاجع" قلت.

الفصل الرابع

مرت الأيام متعثرة. حل شهر آب، حارًا ودبقًا. أمطرت ذات مساء. جرى الناس من الفندق ووقفوا في الشارع يستقبلون المطر بأيديهم. فاحت رائحة حلوة من بنكر هيل. بلل المطر وجوهنا. ثم توقف. عملت بجد، أنقر قصة قصيرة. أخذت العمل معي إلى مكتب دو مونت. جاء مرات عدة في اليوم وعاين ما كنت أكتب. فجأة انتزع الصفحة من آلتي الكاتبة.

"أنت مطرود"، قال. كان يرتجف. "خذ قصتك واخرج".

غادرت. ذهبت إلى السينما. تسكعت في الشارع الرئيس ذاهبًا إلى مسرح الفوليز، خيمة مضاءة باسم جينجر بريتون. كانت وسط عرض التعري، تتمايل بين الستائر، مؤخرتها مثالية كأن روبنز[1] رسمها وجدت مقعدًا في الصف الأول وراقبتها بضراوة. كانت بهية، لها مؤخرة مهر فتي، تدبدب على الخشبة بكعب عال، مديرة ظهرها للجمهور، تنحني للأسفل لتنظر إلينا من بين ساقيها. مؤخرة تحوز على بطولة العالم بالتأكيد، لا مثيل لها، تتوهج بشرتها مثل لب الشمام الأخضر. شعرها الأحمر الطويل يصل حتى ردفيها، نهداها[2] الفالكيريان يحلقان في حلقات متوحشة. هتف الجمهور وصفر.

1- بيتر بول روبينز Petrus Paulus Rubens، (١٥٧٧-١٦٤٠م) هو رسّام فلامنكي (نسبة إلى مقاطعة فلاندرس في بلجيكا). تعتبر أعماله مثالاً صارخًا على المدرسة الباروكية في فن التصوير، كانت تجمع بين أسلوب المدرسة الإيطالية وواقعية المدرسة الفلامنكية. أدار ورشة للتصوير في أنتويرپ (Antwerpen) ابلجيكا، طور أسلوبه الخاص، والمتميز بالألوان المثيرة والرسومات المتوهجة.

2- فالكيري وهي في الميثولوجيا الإسكندنافية وصيفة من اثنتي عشرة وصيفة يمتطين أحصنتهن في أرض المعركة، ويواكبن أرواح الأبطال القتلى إلى مثوى الشهداء.

أغضبوني. لم كانوا هناك هؤلاء السفلة الملاعين؟ كانوا يشاهدون عملاً فنيًا بنفس الاستحسان الذي يليق بمباراة ملاكمة. كان تدنيسيًا. وهي تغادر المنصة كان التصفيق خشنًا مستحيلاً. لم أستطع تحمله، خرجت من المسرح وعدت إلى فندقي غاضبًا، جلست إلى الآلة الكاتبة وكتبت رسالة إلى جينجر بريتون:

عزيزتي جينجر بريتون

أحبك. رأيتك اليوم وأحبك بجنون. أبجلك. أتشوق لمعرفتك، للتحدث إليك، لأمسك بيدك، لآخذك بذراعي وأخمدك بقبلاتي. كان مرآك ترقصين مثل لهب في جسدي. أود أن أصحبك إلى العشاء في نادٍ مسائي هادئ، شعرك الأحمر في وجهي، شفتاك مبللتان بالنبيذ، تقبلين شفتي! كوني لطيفة معي، يا عزيزتي سيدة الفوليز ودعيني أَزُرْكِ ذات مساء بعد العرض. أنا أرتجف حبًا.

آرتورو بانديني

وقعت على الرسالة ووضعتها في مغلف وأخذتها إلى البهو. كانت السيدة براونيل خلف المكتب. طلبت منها طابعًا. ثم شممت رائحة مسكرة تنبعث من باب شقتها خلف المكتب.

"ما هذا؟" سألت وأنا أستنشق.

"فطيرة اللحم"، قالت. "أخرجتها للتو من الفرن".

"رائحتها رائعة".

"هل تريد قطعة؟"

كانت أول ملاحظة ودودة أسمعها منها. نظرت إلى عينيها الزرقاوين وعجبت للتغيير. كانت مضيافة حقًا وليست تلك العاهرة التي ألفتها.

"شكرًا لك سيدة براونيل. أود أن أتذوق قطعة".

دعتني إلى غرفتها. وقفت هناك أنظر من حولي. كانت غرفة التدبير المنزلي: فرن، وبراد، وطاولة فطور، وكرسيان، وأريكة.

"اجلس سيد بانديني".

جلست إلى الطاولة وراقبتها وهي تقطع قطعة من فطيرة اللحم الكبيرة. لم تكن شابة. ربما في الخامسة والخمسين من عمرها. إذا نظرت عن قرب ترى أن هيئتها كانت أنيقة وحسنة المظهر. كان هناك أيضًا أثر لمؤخرة جميلة. وضعت القطعة في صحن عميق وصبت البراندي عليها.

"أنه لأمر مضحك،" قالت. "طوال هذا اليوم الحار كنت أفكر بفطيرة اللحم. الآن أعرف السبب". ابتسمت، وظهر طقم أسنانها، ووضعت الفطيرة أمامي. ناولتني ملعقة وتذوقت الفطيرة. لابد من أني أكلتها بسرعة لأنها سرعان ما قدمت لي قطعة أخرى. كانت فطيرة قوية جدًا لكني أحببتها وارتشفت البراندي كالحساء، وشعرت بحرارة هائلة في معدتي. ثم كل شيء أصبح مبهمًا وثملت. سمعت السيدة براونيل تتحدث عن كنساس وعن عشاء عيد الشكر في المزرعة في ضواحي توبيكا، على شرف إخوتها وأخواتها وكيف هرب والدها مع امرأة من ويشيتا.

استيقظت في سرير. ليس سريري، بل سرير السيدة براونيل. استلقيت على ظهري قرب الجدار. كان الشخص النائم إلى جانبي السيدة براونيل ترتدي قميص نوم أبيض وقلنسوة النوم. تمددت يداها قبالتي تمسكان بذراعي وهي تشخر بشكل موسيقي. كانت الساعة الجانبية تشير إلى الثالثة صباحًا. أغلقت عيني وعدت إلى النوم.

كنا مناسبين واحدنا للآخر، هيلين براونيل وأنا. كل ليلة أجد الطريق إلى غرفتها رحلة سهلة. ابتسمت أحيانًا وأنا أجلس وأخلع حذائي. أحيانًا أخرى لم تلق بالاً، كما لو أنها لم تتوقع حضوري. كنت بطلها الصغير، قالت،

لأني كنت رجلاً ضئيل الحجم، ليس أضخم من زوجها، المحاسب المتوفي منذ خمس سنوات. عندما كان يحين وقت إغلاق المحل كانت تختفي في الحمام لتخلع ثيابها، ثم تخرج في قميص نوم من الموسلين وقلنسوة النوم. تطفئ مصباح غرفة النوم وتنزلق في السرير بجانبي. كنا نتقاسم الظلمة، أحيانًا، وهذا كل شيء. وأحيانًا كنت أتحسس جسدها قليلاً فتستجيب. في غالب الأحيان كانت مثل قريبة في الليل، عمة عذراء، عمتي كورنيليا التي كانت تعيش معنا عندما كنت صبيًا وتكره الأطفال. في الصباح أستيقظ على هسيس لحم الخنزير، لأراها عند الفرن تعد لي فطوري.

"صباح الخير" قد أقول، وقد تجيب بدورها: "حان وقت الفطور أيها البطل الصغير".

كانت أحيانًا تنحني وتقبلني على جبهتي. لابد من أنها عرفت بإفلاسي لأني كل يوم أو يومين كنت أجد دولارين في جيبي. حاولت أن أغسل الصحون، لكنها لم تقبل. نزلت إلى غرفتي مرتاحًا وشبعان وواجهت الآلة الكاتبة السوداء المحملقة بي بأسنانها البيضاء الفاغرة. كنت أكتب أحيانًا عشر صفحات. لم يعجبني ذلك، لأني أعرف أنني متى كنت منتجًا كنت أيضًا نتنًا. أنا نتن معظم الوقت. كان عليَّ أن أتجمل بالصبر. عرفت أنه قادم. الصبر! كان أدنى فضائلي.

ذات يوم كان هناك مفاجأة في بريدي. تألقت الرسالة في يدي. تعرفت إليها في الحال. كانت رسالة من جينجر بريتون، عبقت بعطر الجاردينيا. أخذتها إلى غرفتي وجلست على السرير وفتحتها، رسالة من يد جليلة أنيقة الخط. شكرتني جينجر بريتون على رسالتي وقدرت كل ما كتبته وكانت مبتهجة. للأسف لا يمكنها أن تلتقيني على العشاء لأنها كانت متأكدة من أن زوجها لن يسمح بذلك أبدًا، لكنها أصرت على أن أتردد كثيرًا إلى الفوليز لأشاهد عرضها. أحبت رسالتي. كانت متأثرة بشدة بها وسوف تثمنها دائمًا.

فردت الرسالة وضغطتها على وجهي، أشتم عطر الغاردينيا. ضغطت شفتي فيها وغرغرت بامتنان. تمتمت دا دا دا. أوه جينجر بريتون، كم أحبك!

كنت جالسًا في الصف الأول من صفوف مسرح الفوليز عندما ارتفعت الستارة على العرض الساخر. دخلت إلى الخشبة مع كامل فريق العمل وغصت في مقعدي ممتنًا. لقد أتيت مخططًا: أن أهمس لها، أن ألوح، أن أرمي لها قبلة، لكن عندما نظرت من حولي، كل وجه كان وجه زوجها، وفقدت الشجاعة. ثم رفعت بصري نحو وجهها. كانت تبتسم لي. تعرفت إلي. عرفت أنها عرفتني، وكان هناك ألفة مثيرة في ابتسامتها، ولوحت بإصبعين أو ثلاثة أصابع في اعتراف رعديد. ثم انهمكت في وتيرة عملها الخاصة، تدور وسط الخشبة، ثم تنحني إلى الخلف لتنظر نحو الجمهور من بين ساقيها، ومن تلك الوضعية أدارت وجهها نحوي وابتسمت بتأكيد. نظرت حولي متوترًا. تجاهلني الجميع ما عدا رجل على بعد ممرين إلى الخلف، رجل أسود فظ قاس عابس يحدق مباشرة بي. استشعرت المتاعب، نهضت وخرجت. لابد من أن يكون الرجل الأسود إما زوجها أو معجبًا آخر كتب لها رسالة.

الفصل الخامس

في طريق العودة إلى بنكر هيل عبرت بساحة بيرشينج. كانت ليلة دافئة وكان المتنزه متألقًا تحت مصابيح الشارع. جلس الناس على مقاعد المتنزه يستمتعون بالهدأة المنعشة بعد يوم حار. في مركز الساحة كان لاعبو شطرنج يشغلون مقعدًا. كان هناك أربعة لاعبين على كل جانب من جانبي طاولة طويلة، كل واحد أمامه رقعة شطرنج. كانوا يلعبون الشطرنج بنقلات سريعة، ثمانية لاعبين يبارون مهاراتهم مع مهارة رجل واحد مسن، خشن، وقح، بارع يرتدي قميصًا داخليًا بأكمام، يرقص وهو ينتقل من لاعب إلى آخر. يحرك أحجار الشطرنج، ويطلق الشتائم، ثم ينتقل إلى لاعب آخر. خلال بضع دقائق هزم خصومه الثمانية وانتزع رهانًا مقداره خمسة وعشرون سنتًا مقابل نصره. عندما ابتعد اللاعبون الساخطون صرخ الرجل المسن وكان اسمه موسى موس عاليًا:

"من التالي؟ من يظن نفسه لاعب شطرنج عظيم؟ سأهزم أي رجل هنا، أي زوج من الرجال، أي عشرة رجال". التفت ونظر نحوي.

"ماذا تفعل واقفًا هناك؟" صرخ. "ماذا تظن نفسك؟ هل تملك قطعتين[1]؟ اجلس، وقدم المال، أيها المتذاكي. سأهزمك شر هزيمة!"

التفت مبتعدًا.

"هذا هو! قال هازئًا. " أيها الجبان اللعين! عرفت أنك حقير من اللحظة

1- (Bits): قطعة نقدية تساوي ثمن دولار.

التي وقعت فيها عيني عليك!"

في هذه الأثناء كان جمع آخر من لاعبي الشطرنج يأخذون أماكنهم حول المنضدة الطويلة. كان هناك سبعة رجال. لم ألعب الشطرنج منذ سنتين، لكني كنت لاعبًا جيدًا في كولورادو، وفزت بالبطولة في نادي الشطرنج. عرفت بأني قد أصمد ضد هذا العجوز الثرثار، المهين النذل، لكني لم أعرف إذا ما كنت سأتغلب على هجومه القذر. لقد لطمني على ظهري.

"اجلس، أيها الصغير. تعلم شيئًا عن الشطرنج".

استسلمت. أخرجت ربعًا من جيبي، ورميته على الطاولة، وجلست.

غلبني والآخرين في عشر نقلات. نهضنا نحن الضحايا، من الطاولة وهو يجمع الأرباع ويخشخش بها في جيبه.

"انتهى؟" سأل. "هل كسبت ثانية؟"

أخرجت ربعًا آخر، لكن اللاعبين الآخرين كان قد طفح بهم الكيل. جلس موسى موس أمامي وبدأنا اللعب. أشعل سيجارة.

"من علمك هذه اللعبة يا ولد؟ أمك؟"

"دورك" قلت. "يا ابن الزانية!"

"الآن أنت تبدو أشبه بلاعب شطرنج حقيقي،" قال وهو يحرك حجرًا. هزمني باثنتي عشرة حركة. رميت ربعًا آخر. هزمني مجددًا بسرعة، هزيمة حاسمة. لم يكن هناك أي طريق لأهزم هذا العجوز. ثم بدأ يعبث معي. بعنف. فظاظة. سادية. عرض أن ينازلني بدون وزيره، وخسرت. ثم أزال وزيره، وفيليه، وحصانيه، وخسرت ثانية. أخيرًا تجرد من قواته واكتفى بالبيادق فقط. في هذه الأثناء كان يتجمع من حولنا حشد من المتطفلين يولولون ضاحكين عندما كانت بيادقه تحصد أحجاري وفاز مرة أخرى.

بقي معي ربع أخير. وضعته على الطاولة. فرك موسى موس يديه وابتسم ابتسامة ظافرة لطيفة.

"سأقول لك ما الذي سأفعله الآن يا ولد. سأجعلك تفوز. أنت ستكش لي الملك".

صفق الجمهور، واقتربوا أكثر. تجمع من حولنا أربعون شخصًا. احتاج إلى حوالي عشرين نقلة ليقضي علي، مناورًا بأحجاره بطريقة لم أتمكن من تفادي هزيمته. كنت متعبًا، مخيبًا ومعتل الروح. معدتي آلمتني وعيناي التهبتا.

"أنا انتهيت يا موسى" قلت. "ذاك كان آخر ربع أملكه".

"صدقك يكفي" قال. "تبدو كأنك ولد شريف. أنت أحمق لعين، لكنك تبدو شريفًا".

خدرًا بدأت باللعب، مشوشًا للغاية كي أبتعد، أشعر بالعار لأنهض على قدمي وأرحل. فجأة كان هناك هرج ومرج. اختفى المتفرجون. كانت الشرطة في المكان. ألقوا القبض على عدد من الناس ودفعت وموسى إلى سيارة الشرطة. تم سوقنا إلى سجن المدينة، ستة منا، واصطففنا عند مكتب الرقيب، وجهت إلى كل منا تهمة التسكع. بعد التسجيل، ساقونا إلى سجن المخمورين. تبعت موسى لأنه بدا أنه يعرف كيفية سير الأمور. جلسنا على مقعد وسألته عما سيحدث فيما بعد.

"عشرة دولارات أو خمسة أيام" قال. "عليهم اللعنة. لنلعب الشطرنج". ما أرعبني أنه أخرج شطرنجًا مصغرًا من جيبه الخلفي، ووضعنا أحجار الشطرنج في المكان وبدأنا باللعب. كان لا يعرف التعب. لم أتمكن من فتح عيني. نمت وذقني على صدري. هزني وأيقظني ونقلت قطعة. كنا نلعب مقابل مبالغ هائلة الآن. أصبحت مدينًا له بخمسة عشر ألف دولار. ضاعفناهم. خسرت مجددًا، وعندما حاول موسى إيقاظي انزلقت من على

المقعد ونمت على الأرض. سمعت كلماته الأخيرة:

"أيها النذل، أنت مدين لي بثلاثين ألف دولار".

"ضعهم على حسابي"، قلت.

نمت. سمعت بشكل غامض أصواتًا من حولي: الشخير، إطلاق الريح، الزفير، التقيؤ، تمتمات أثناء النوم. كان الجو باردًا في الزنزانة الكبيرة. زحف الفجر الرمادي من خلال النافذة. وأتى ضوء النهار تدريجيًا. عند الساعة السادسة خشخش السجان أقفال الزنزانة بعصا مكافحة الشغب.

"ليستعد الجميع لفسحة التنفس"، صرخ. "لديكم خمس دقائق لتجروا اتصالاً".

تبعت موسى عبر الردهة إلى غرفة انتظار معلق على جدارها هواتف. كانت هواتف بحصالات. بحثت في جيوبي عن قرش. لم أكن أملك شيئًا. كان موسى أمامي يتحدث إلى شخص بالهاتف وهو يغلق الخط ضغطت عليه.

"أقرضني قرشًا". قلت.

قطّب. "يا يسوع أيها الولد" قال. "أنت تدين لي سلفًا بثلاثين ألفًا".

"سأعيدها لك يا موسى" تضرعت. "حتى آخر سنت. صدقني".

بحث في جيبه وأخرج كومة من القطع النقدية الفضية. "خذ واحدة".

اخترت قرشًا وتوجهت إلى الهاتف. اتصلت بفندقي. أجابت السيدة براونيل.

"أنا في محكمة جادة صانسيت،" قلت لها. "هل يمكنك أن تدفعي لتخرجيني؟ المبلغ عشرة دولارات".

ران صمت. "هل أنت في مأزق؟"

"لا، لكنني مفلس".

"سأكون هناك". أغلقت الخط.

كانت في غرفة المحكمة عندما أدخل السجناء. نودي على اسمي واقتربت من المحكمة. لم يرني القاضي قط وحتى أنه لم ينظر إلي.

"أنت متهم بالتسكع. عشرة دولارات أو خمسة أيام. بم تجيب؟"

"مذنب". قلت.

"ادفع للحاجب". قال. "التالي".

عندما انتقلت إلى مكتب حاجب المحكمة نهضت السيدة براونيل وجاءت إلى جانبي. فتحت محفظتها وأعطت الحاجب ورقة نقدية بقيمة عشرة دولارات. انحنيت على المكتب ووقعت على وصل الكفالة. أسرعت السيدة براونيل في الردهة تمشي بسرعة، ركضت لألحق بها.

"شكرًا،" قلت. ركضت قدمًا وخرجت من الباب الرئيس، ونزلت الدرج إلى الشارع، حيث كانت سيارتها مركونة. ركبت إلى جانبها وترنحت السيارة عندما عشقت تروس الحركة.

"أنا أثمن ما فعلت". قلت. رمقتني بنظرة مريرة.

"خريج سجون!" قالت. لم نتحدث ونحن نسير في شارع تمبل وانعطفنا إلى بنكر هيل. ركنت السيارة في الأرض الشاغرة قرب الفندق.

"لم أرتكب جريمة،" شرحت "كنت محجوزًا للعب الشطرنج، هذا كل ما في الأمر".

بدت متجهمة. "والآن لديك سجل سجين".

"أوه اللعنة". قلت.

خرجنا وتوجهنا نحو الفندق. ذهبنا عبر المكتب إلى شقتها. دخلت إلى الحمام وفتحت المياه الساخنة. صعدت سحب من البخار ودخلت إلى غرفة الجلوس.

"ستستحم"، قالت. "ستنظف نفسك من وضاعة السجن والرجس والقذارة كلها، القمل والبرغوث وبق الفراش".

رميت ملابسي حول قدمي وجمعتها مثل حيوانات ميتة وقذفت بها في سلة الغسيل. كان الماء دافئًا وصابونيًا، وغطست حتى عنقي وسمحت للحرارة الحميدة أن تتغلغل. السيدة براونيل انحنت فوقي بالليفة وبقطعة من صابون فيلس نافتا [1]. رغت على الليفة وبدأت تدلكني. دخل الصابون في أذني حتى صرخت.

"قذر"، قالت. "انظر إلى القذارة! ألا تشعر بالعار؟"

دفعت الليفة بين ساقي وصرخت ثانية.

"اخرجي" قلت. "دعيني وحدي".

دفعت الليفة في وجهي. "خريج سجون!" قالت. "مدان!"

استدارت وتركتني وحيدًا. جففت نفسي، لبست سروالي التحتي وذهبت إلى المطبخ. كانت عند الفرن تعد لي الفطور مديرة ظهرها. كنت رجلاً خبيرًا بالمؤخرات، اكتشفت سريعًا انكماش ردفيها؛ إشارة أكيدة على الغضب عند المرأة. التجربة علمتني أن أكون على درجة عالية من الحيطة في وجه مثل هذا التغير الدراماتيكي في المؤخرة وكنت هادئًا وأنا أجلس. كان كما لو أني في

1- (fels naphtha): علامة تجارية أميركية وهو صابون يستخدم لمعالجة الإصابات الجلدية منزليًا.

حضرة أفعى ملفوفة. جلبت لحم الخنزير والبيض إلى الطاولة وهبدت الطبق أمامي. رن الهاتف. سمعتها تجيب.

"هو لك"، قالت.

التقطت الهاتف. كان المتصل المخرج السينمائي هاري شيندلر. كان صديقًا قديمًا لـ ه. ل. مولر. لقد حصل على عنواني من مولر وكان متلهفًا لمحادثتي.

"ما الأمر؟"

"هل سبق لك أن كتبت للسينما؟"

"لا".

"هذا جيد"، قال شيندلر. "هل تريد عملاً؟"

"أي عمل؟"

"كتابة السيناريو".

"لا أعرف كيف".

"ما من صعوبة" قال شيندلر. "سأريك. لاقني في شركة كولومبيا للأفلام غدًا في العاشرة صباحًا".

عدت إلى غرفة جلوس السيدة براونيل وجلست. كان من الواضح أنها سمعت المكالمة الهاتفية.

"ربما أحصل على عمل في السينما".

"على الأقل ستكون نظيفًا" قالت. لاحظت عجيزتها. كانت لا تزال متقلصة. أكلت بسرعة وعدت إلى غرفتي.

الفصل السادس

في صباح اليوم التالي دلتني السيدة براونيل على الطريق وركبت حافلة صانسيت إلى جادة جاور. كان الأستوديو في منتصف الشارع. ركبت المصعد إلى الطابق الرابع ووجدت مكتب شيندلر. كانت سكرتيرته جالسة إلى مكتبها تقرأ رواية. كانت شقراء وشعرها مصففًا بقسوة، مشدودًا إلى عقدة عند نقرة عنقها. لها حاجبان ذهبيان وكانت عيناها من الياقوت الصافي، مناوئة غير ودودة.

"نعم؟" قالت.

قلت لها اسمي. نهضت وذهبت إلى باب مكتب شيندلر. كان فستانها من المخمل الأخضر. في الحال انتبهت لمؤخرتها الشهوانية، هوليوودية مثالية. تحركت مثل أفعى، أفعى كبيرة، من نوع بوا شهوانية عاصرة. كنت مسرورًا جدًا. طرقت على باب شيندلر وفتحته.

"السيد بانديني،" أعلنت.

نهض شيندلر من خلف مكتبه وتصافحنا.

"اجلس" قال. "خذ راحتك".

كان رجلاً قصير القامة له شكل رصاصة بشعر قصير وسيجار مطفأ في فمه.

"قرأت قصصك المنشورة" قال. "عندك كثير من الإنشاء يا ولد. أنت ما أحتاجه تمامًا. ه. ل. مولر يضرب مجددًا!" ضحك. "نحن صديقان قديمان،

ه. ل. مولر وأنا. عملنا على صحيفة بالتيمور صن معًا. أعرفه منذ عشرين سنة".

"قلت لك إنني لم أكتب للسينما سابقًا. لا تتوقع الكثير".

"دع ذلك لي" قال شيندلر.

"ماذا في ذهنك؟"

"لا شيء، في الوقت الحالي. أولاً اعتد على المكان. تأقلم. خذ وجهة. اقرأ بعض سيناريوهاتي، شاهد بعضًا من أفلامي. التق بكتاب آخرين على هذه الأرض؛ بينشلي، بين هيكت، دالتون ترومبو، نات ويست. أنت مع رفقة جيدة يا ولد".

"هل يعمل سنكلير لويس هنا؟" سألت.

"أتمنى ذلك، هل تعرف لويس؟"

"إنه كاتبي الأميركي المفضل".

"وهو صديق جيد لـ ه. ل. مولر،" قال شيندلر مبتسمًا. رن الجرس ودخلت السكرتيرة.

"أرشدي السيد بانديني إلى المكتب الآخر،" قال لها شيندلر. "رتبي له أمر مشاهدة بعض الأفلام واحرصي أن يحصل على بعض سيناريوهاتي".

تصافحنا.

"حظًا سعيدًا بانديني، سنفعل أشياء عظيمة معًا".

"آمل ذلك".

استدرت لأغادر.

بالمناسبة، قال، "هل يعرف أحدكما الآخر؟"

قلت: لا، ولم تقل الفتاة شيئًا.

"آرتورو" قال شيندلر، "التق بسكرتيرتك تيلما فاربر".

ابتسمت لها: "مرحبًا".

لم أكن واثقًا، لكني اعتقدت أني رأيت شفتها تلتوي. التفتت وخرجت، وتبعت تموجات الأفعى الكبيرة في الفستان الأخضر المخملي. عبرنا غرفة الاستقبال إلى مكتب مجاور. نظرت من حولي. مكتب، وكرسيان، وأريكة، وآلة كاتبة، وبعض رفوف كتب فارغة.

"جيد" قلت. "ماذا أفعل الآن؟"

"افعل ما تشاء" قالت، وفورًا خرجت وأغلقت الباب. تعجبت منها محتارًا. ثم فتحت الباب. كانت إلى مكتبها تقرأ روايتها.

"هيه" قلت. رفعت بصرها "هل أنت ودودة هكذا مع الجميع؟"

ابتسمت بعذوبة. "ليس مع الجميع".

الفصل السابع

كانت المهمة التي أوكلها إلي هاري شيندلر سرًا لا يسبر له غور. أمضيت الأيام وأنا أقرأ سيناريوهاته، دستة من السيناريوهات، لم أهتم لواحد منها في يوم من الأيام. كان مختصًا في أفلام العصابات وإذا ما نظرت عن كثب تكتشف أن جميع نصوصه متشابهة بشكل جوهري، نفس الحبكة، نفس الشخصيات، نفس المغزى. قرأتها ووضعتها جانبًا. غادرت المكتب أحيانًا وتجولت في الردهات. على كل باب مكتب رأيت لافتة الشهير-بين هيكت، تيس سليسينجر، دالتون ترومبو، نات ويست، هوراس ماككوي، آبيم كاندل، فرانك إدجنتون. رأيت أحيانًا هؤلاء الكتاب يدخلون أو يغادرون مكاتبهم. بدوا جميعهم متشابهين بالنسبة إلي. لم أعرفهم، ولم يعرفوني. في وقت الغداء ذات يوم صعدت إلى غرفة الطعام الخاصة بالنخبة، حيث يجتمع الكتاب والمخرجون. أخذت مقعدًا إلى طاولة طويلة ووجدت نفسي بين جون جارفيلد ورونالد براون، المخرج. قلت لجارفيلد كسرًا للجليد:

"ناولني الملح من فضلك".

مرر الملح دون أن ينبس ببنت شفة. التفت إلى براون وسألت: "هل أنت هنا منذ وقت طويل؟" "يا مسيح، نعم،" قال، وهذا كان كل شيء. ارتأيت أن هذا لم يكن خطأهما، بل خطئي، شخص قليل التكيف، مرعوب، يفتقر للثقة. لم أعد إلى هناك مجددًا أبدًا.

ذات يوم وأنا أعبر ممر الطابق الرابع رأيت رجلاً جالسًا خلف آلة كاتبة في مكتب فرانك إدجنتون. كان رجلاً إنجليزيًا طويل القامة يدخن غليونًا.

قلت: "هل أنت فرانك إدجنتون؟"

"أنا هو".

تقدمت نحو مكتبه ومددت يدي.

"أنا آرتورو بانديني. كاتب أيضًا. أعمل لحساب هاري شيندلر".

"أهلاً بك في مشفى المجانين" قال إدجنتون.

"على ماذا تعمل؟" سألت.

"قطعة من هراء. هل تعرف لعبة التقط الأعواد[1] ؟"

"بالتأكيد". قلت.

"هل تود أن تلعب؟"

"بالتأكيد".

أخرج علبة الأعواد الخاصة باللعبة من مكتبه وبدأنا باللعب. لم تكن يدا إدجنتون بعظامها الكبيرة مناسبة لمثل هذه اللعبة الدقيقة. لم أكن أفضل حالاً منه أيضًا. أمضينا ما بعد الظهيرة نلعب، نزجي الوقت. كان إدجنتون كاتبًا شرقيًا. ساهم في مجلتي النيويوركر و Scribner's. يكره هوليوود. كان في السينما منذ خمس سنوات، يبغض كل لحظة منها.

"لم لا تغادر؟" سألت. "إذا كنت تكرهها إلى هذه الدرجة لم لا تعود إلى نيويورك؟"

"المال. أحب المال".

نزلنا إلى الدكان في الطابق السفلي وطلبنا الكوكا.

1- لعبة تحتاج إلى مهارة بدنية وعقلية، حزمة من الأعواد يتراوح طولها من ٨-٢٠ سم، تبسط على طاولة بشكل عشوائي وعلى كل لاعب بدوره أن يسحب عودًا دون أن يتسبب بوقوع الأعواد الأخرى.

"هل أنت متزوج يا إدجنتون؟"

"ثلاث مرات". قال.

"لابد من أنك تحب النساء كثيرًا".

"لم أعد كذلك، هل أنت متزوج؟"

"لا".

"أنت ذكي. لنعد إلى اللعبة".

عدنا إلى مكتبه ولعبنا "التقط الأعواد" حتى الساعة الخامسة.

"لنتعشَّ" قال. "على حسابي".

قاد إدجنتون سيارة من نوع كاديلاك طويلة سوداء. ذهبنا إلى مطعم موسو فرانك. كان يعرف الكثيرين، أغلبهم من الكتاب. شربنا كثيرًا، شرب إدجنتون الويسكي في حين شربت النبيذ. بعد عشاء وساعتين من الشرب كنا أنا وهو ثملين تمامًا. بدت عيناه الرماديتان لي مترنحتين.

"لنتضاجع" قال.

"لا، لا أحتاجه".

كان فجأة غاضبًا، وطرق على الطاولة بذهول ثمل.

"الجميع يحتاجونه". صرخ، ملتفتًا ليخاطب الجالسين إلى الطاولات المحيطة. "لنتضاجع جميعًا"، صرخ.

"فجأة أحاط ثلاثة ندل بطاولتنا ودفعونا بخشونة من الطريق الخلفي إلى ساحة انتظار السيارات. خر إدجنتون بملل على بلاط إسمنتي وجلست بجانبه وأشعلت سيجارة. تلوى وجهه بالتهكم.

"يا إلهي، أكره هذه البلدة" قال. "لنخرج من هنا. لنذهب إلى نيويورك".

"لا أريد الذهاب إلى نيويورك، فرانك. أعدني إلى البيت".

ترنح على قدميه وتعثر نحو السيارة. لم أحب منظرها.

"هل أنت في حالة من الصحو تسمح لك بالقيادة؟"

"ادخل"، قال، "ثق بي".

صعد خلف مقود القيادة واستدرت إلى الباب الآخر وجلست إلى جانبه. انحنى للأمام، وجهه أمام عجلة القيادة. انتظرت لحظة، أتفحصه. بدأ بالشخير. كان يبدو نائمًا. تركته هناك، انزلقت بهدوء، وذهبت إلى جادة هوليوود، ركبت سيارة حمراء قادتني إلى بنكر هيل.

فرانك إدجنتون وأنا أصبحنا رفيقين. أحبَّ الجانب الثاني من هوليوود، الحانات، الشوارع الوضيعة التي تطيل جادة هوليوود نحو الجنوب. كنت سعيدًا بأن أكون في إثره وهو يشرب في حانات مثل حانة السينترو، محل ماكادن، ويلكوكس، ولاس بالماس. شربنا البيرة ولعبنا ألعاب البينبول. كان إدجنتون مدمنًا على البينبول، نصير لا يتعب، يشرب البيرة ويضرب كرات البينبول. ذهبنا أحيانًا إلى السينما. كان يعرف جميع المطاعم الفاخرة، أكلنا وشربنا جيدًا. في العطل الأسبوعية سبحنا في بركة لوس أنجلس، ذهبنا إلى الصحاري، سفوح التلال، البلدات المحيطة، المرفأ. ذات سبت ذهبنا إلى جزيرة طرفية، شريط من رمل أبيض يمتد في المرفأ. كانت هناك مصانع التعليب ورأينا منازل الشاطئ المسفوعة حيث يعيش الفليبينيون واليابانيون. كان مكانًا فاتنًا، منعزلاً، متداعيًا، شبيهًا بصورة رائعة. رأيت نفسي في واحد من الأكواخ مع آلتي الكاتبة. تشوقت لفرصة العمل هناك، لأن أكتب في ذلك المكان المعزول المهجور، حيث الرمل يكاد يغطي الشوارع، والشرفات والأسيجة متدلية في الريح. قلت لفرانك إني أردت أن أعيش وأكتب هناك.

"أنت مجنون"، قال. "هذا حي فقير".

"إنه جميل"، قلت. "يمنحني شعورًا بالدفء".

انغمسنا في الأستوديو في وسواس آخر من وساوس فرانك إدجنتون؛ ألعاب الأطفال. لعبنا لعبة الكرة، الخادمة المسنة، لعبة البرجيس، والداما. لعبنا على رهانات صغيرة؛ خمسة سنتات على اللعبة الواحدة. عمل فرانك عندما كان وحيدًا على قصة قصيرة لمجلة النيويوركر. عندما كنت وحيدًا جلست في مكتبي متشوقًا لتيلما فاربر. كانت منيعة. رفضت أحيانًا مني السلام، وكنت مسحوقًا كليًا وأتنفس بصعوبة. طلب هاري شيندلر أفلامه القديمة وجلست مع تيلما في غرفة العرض نشاهدها. حاولت أن أجلس إلى جانبها فما كان منها إلا أن انتقلت مبتعدة على الفور مسافة مقعدين. كانت عاهرة، عدائية بشدة. شعرت بأني كالهوام.

بعد أسبوعين قبضت أول مرتب لي وقدره 600 دولار. كان مبلغًا مذهلاً، ثلاثمئة دولار في الأسبوع مقابل لا شيء. طرقت على باب شيندلر وشكرته على الشيك المصرفي.

"لا بأس"، قال مكشرًا. "نريدك سعيدًا. هذه الفكرة بمجملها".

"لكني لم أفعل شيئًا. أنا سأجن. أعطني شيئًا لأكتبه".

"أنت تبلي بلاء حسنًا. أريدك في حالة الطوارئ. كان يجب أن يكون عندي رجل احتياطي، شخص موهوب. لا تقلق. أنت تقوم بعمل عظيم. واصل على هذ المنوال. اصرف الشيك واستمتع".

"دعني أكتب لك فيلم وسترى".

"ليس بعد،" قال شيندلر. "فقط افعل ما تفعله ودع الباقي علي".

فجأة صدمت: أردت أن أبكي. استدرت وخرجت، اندفعت بمحاذاة تيلما ودخلت مكتبي. جلست إلى مكتبي أبكي. لم أرغب في أن يتصدق علي. أردت أن أكون رائعًا على الورق، أن أقلب عبارات ممتازة وأنبش جواهر

عاطفية ليراها شيندلر. خنقت بكائي وهرعت إلى الردهة نحو مكتب إدجنتون، ورميت نفسي على كرسي.

"ما المشكلة بحق الجحيم؟" سأل إدجنتون.

قلت له: "لا يرغبون في السماح لي بالكتابة، شيندلر لن يكلفني بأي شيء. أنا سأجن".

رمى إدجنتون قلمه في الغرفة مشمئزًا.

"ما مشكلتك بحق الجحيم؟ هناك كتاب في هذا الأستوديو مضت أشهر دون أن يخربشوا سطرًا. يكسبون عشرة أضعاف ما تكسبه، ويضحكون طوال الوقت في الطريق إلى المصرف. مشكلتك هي أنك فلاح لعين. إذا كان هناك الكثير لا يعجبك في هذه البلدة، توقف عن التحامق وعد إلى القرية الإيطالية تلك التي يتحدر منها أهلك. لقد أتعبتني!"

حدقت به ممتنًا. ثم بدأت بالضحك.

"فرانك"، قلت. "أنت شخص رائع".

"اذهب ولا تأثم ثانية".

نزلت من شارع جاور، حتى جادة صانسيت، ومنها إلى مصرف أميركا، حيث صرفت الشيك. خرجت بإحساس جديد، بفرح مرير. كانت ساحة السيارات المستعملة في منتصف جادة صانسيت. وجدت سيارة مستعملة من نوع بليموث بقيمة 300 دولار وركبتها. كنت شخصًا جديدًا، كاتبًا هوليووديًا ناجحًا، دون أن أكتب سطرًا واحدًا. كان المستقبل بلا حد.

الفصل الثامن

بعد ليالٍ عدة دعاني إدجنتون على العشاء. "أفضل مطعم في المدينة،" قال. تركنا سيارتي في ساحة انتظار السيارات وركبنا سيارة فرانك الكاديلاك. صعد جادة بيفرلي إلى دوهيني وتوقف عند ساحة انتظار مطعم محاذٍ. كان مطعم Chasen's. قبل أن ندخل سوّى فرانك ربطة عنقي.

"هذا نادٍ راق" قال. "لا أريدك أن تحرجني".

دخلنا. كان هناك بار خارجي صغير، وخلفه غرفة الطعام الرئيسة. جلسنا على مقاعد البار وطلبنا مشروبًا. كالعادة فرانك يعرف الجميع. صافح ديف تشازن وقدمني.

"سعيد بالتعرف إليك" ابتسم تشازن ابتسامة عريضة، ثم التفت بسرعة ليرحب برجل وامرأتين يدخلون من الشارع. وقفوا يتحدثون لبرهة.

دفعني فرانك بمرفقه. "احزر من هنا" قال.

التفت وتفحصت الرجل ومرافقتيه.

"من يكون؟" همست، عندما تقدم الثلاثة ودخلوا غرفة الطعام.

"سنكلير لويس" قال فرانك.

مجفلاً تشردقت بشرابي.

"أأنت واثق؟" سألت.

"بالتأكيد واثق" أومأ إلى تشازن، الذي انضم إلينا ثانية. "من كان الرجل

برفقة المرأتين"؟ سأل فرانك.

"سنكلير لويس" قال تشازن.

"يا إلهي" قلت، "أعظم كتاب أميركا!" قفزت من مقعد البار وتوجهت نحو الباب المغلق بستارة، المفضي إلى غرفة الطعام. سحبت الستارة جانبًا، رأيت نادلاً يرشد لويس وصديقتيه إلى مقصورة.

لم أستطع إيقاف نفسي. في الحال كنت أشق طريقي بين الطاولات نحو أعظم كاتب في أميركا. كان اندفاعًا أعمى مجنونًا. فجأة وقفت أمام مقصورة لويس الذي لم يرني لكونه منشغلاً في محادثة مع النسوة. ابتسمت لشعره الأحمر الخفيف، ووجهه المنمش، ويديه الطويلتين الرقيقتين.

"سنكلير لويس" قلت.

رفع هو وصديقتاه أبصارهم نحوي.

"أنت أعظم روائي ولدته هذه البلاد أبدًا"، دمدمت. "كل ما أريده هو أن أصافحك. اسمي آرتورو بانديني. أنا أكتب لصالح ه. ل. مولر، صديقك المفضل" ومددت يدي. "أنا سعيد بالتعرف إليك يا سيد لويس".

أمعن النظر بي بتحديق حائر، عيناه زرقاوان وباردتان. كانت يدي هناك ممدودة نحو الطاولة التي تفصل بيننا. لم يصافحها. حدق فقط، وحدّقت المرأتان أيضًا. سحبت يدي ببطء.

"سعيد بمعرفتك، يا سيد لويس. آسف لإزعاجك". التفت مرعوبًا، تقوضت شجاعتي، وأنا أسرع بين الطاولات وأعود إلى البار، وانضممت إلى فرانك إدجنتون. كنت ثائرًا، مشمئزًا، مهانًا، مذلاً. اختطفت كأس فرانك وتجرعته. تبادل الساقي وفرانك النظرات.

"أعطني قلمًا وورقة، رجاء".

وضع الساقي مفكرة وقلمًا أمامي. منقطع الأنفاس، كتبت بقلم يرتجف:

عزيزي سنكلير لويس:

لقد كنت إلهًا فيما مضى، لكن الآن أنت خنزير. لقد وقرتك فيما مضى، أعجبت بك، والآن أنت لا شيء. جئت لأصافحك بولع، أنت لويس عملاق الكتاب الأميركيين، ولقد رفضت ذلك. أقسم بأني لن أقرأ سطرًا من كتابتك ثانية. أنت فظ متكلف. لقد خنتني. سأخبر ه. ل. مولر عنك وكيف أخجلتني. سأخبر العالم.

آرتورو بانديني

ملاحظة: أتمنى أن تختنق بشريحة اللحم.

طويت الورقة وأشرت لنادل. تقدم. ناولته المكتوب.

"هلا أعطيت هذا إلى سنكلير لويس من فضلك".

أخذها ونقدته بعض النقود. دخل غرفة الطعام. وقفت في العتبة أراقبه وهو يقترب من طاولة لويس. ناول لويس المكتوب. أمسك لويس به أمامه بضع لحظات، ثم قفز، ينظر من حوله، ينادي على النادل. خرج من المقصورة وأشار النادل باتجاهي. فشخ لويس بخطوات واسعة وتقدم نحوي يحمل منديله. انطلقت من هناك، من الباب الرئيس، ونزلت إلى الشارع نحو ساحة انتظار السيارات، إلى سيارة فرانك الكاديلاك، وجلست في المقعد الخلفي. رأيت الشارع من مكان جلوسي، وخلال لحظة ظهر لويس متوترًا على الرصيف، لا يزال ممسكًا بمنديله. نظر من حوله هائجًا.

"بانديني" نادى. "أين أنت؟ أنا سنكلير لويس. أين أنت يا بانديني؟"

جلست هامدًا. بضع لحظات، وعاد نحو المطعم. استندت إلى الوراء منهكًا، مرتبكًا غير عارف نفسي أو قدراتي. جلست مرتابًا، أشعر بالعار،

بالألم، والندم. أشعلت سيجارة ودخنتها بشراهة. بعد فترة قصيرة خرج فرانك إدجنتون من المطعم وجاء إلى السيارة. انحنى نحو الداخل ونظر إلي.

"أنت بخير؟"

"بخير" قلت.

"ما الذي حصل؟"

"لا أعرف".

"ما الذي كتبته في تلك الملحوظة؟"

"لا أعرف".

"أنت مجنون. هل تريد أن تأكل؟"

"ليس هنا. دعنا نذهب إلى مكان آخر".

"كما تريد". جلس خلف المقود وأدار المحرك.

الفصل التاسع

ولدت في قبو، في مصنع للمعكرونة شمال دنفر. عندما علم أبي بأن طفله الثالث كان صبيًا أيضًا كان رد فعله مشابهًا لما كان عليه عندما جاء أخواي إلى العالم؛ ظل يشرب طوال ثلاثة أيام. وجدته أمي في الغرفة الخلفية لحانة تبعد شارعًا عن شقتنا وجرجرته إلى المنزل. سوى ذلك لم يلق أبي بالاً لي إلا لمامًا.

ذات يوم في طفولتي وقفت خارج نافذة حمام منزل عمتي وراقبت ابنة عمتي كاثرين وهي تقف أمام مرآة التسريح تمشط شعرها الأحمر الطويل. كانت عارية تمامًا إلا من حذاء أمها ذي الكعب العالي، امرأة كاملة في الثامنة من عمرها. لم أفهم النشوة التي فارت بداخلي، تدفق ملتبسًا جمال ابنة عمتي المثير. وقفت هناك واستمنيت. كنت في الخامسة من عمري وكان للعالم بعد جديد مدهش.

كنت أيضًا مجرمًا. شعرت بأني مجرم، متسلل، شمام، نمش الوجه، مجرم ملغز لأربع سنوات تلت، إلى أن انحنيت تحت ثقل صليبي، جرجرت نفسي إلى اعترافي الأول وأخبرت الكاهن بحقيقة حياتي الشهوانية. منحني المغفرة وأزاح عني ثقل الصليب وخرجت إلى نور الشمس، روح محررة من جديد.

انتقلت عائلتنا إلى بولدر عندما كنت في السابعة والتحقت وأخواي بمدرسة القلب الأقدس. في السنوات الثماني التالية حصلت على علامات مرتفعة في كرة القاعدة، والسلة، والقدم، ولم تختلط حياتي بالكتب والمعرفة.

نجح أبي، متعهد البناء، لبعض الوقت في بولدر وأرسلني إلى مدرسة اليسوعيين الثانوية. كنت بائسًا هناك معظم الوقت، حصلت على علامات

جيدة لكني كنت ساخطًا من الانضباط. كرهت المدرسة الداخلية وتقت للعودة إلى البيت، لكن علاماتي كانت جيدة. وبعد أربع سنوات التحقت بجامعة كولورادو. في سنتي الثانية في الجامعة أحببت فتاة تعمل في متجر للملابس. كان اسمها آجنس، وأردت الزواج بها. انتقلت إلى نورث بلاتي، نبراسكا، بحثًا عن عمل أفضل، وتركت الجامعة لأكون قريبًا منها. سافرت متطفلاً من بولدر إلى نورث بلاتي ووصلت مغبرًا ومفلسًا وظافرًا إلى المسكن الذي تعيش فيه آجنس. جلسنا على أرجوحة الشرفة ولم تكن سعيدة برؤيتي.

"لا أريد أن أتزوجك" قالت. "لا أريد أن أراك بعد الآن. لهذا أنا هنا، كي لا نرى بعضنا البعض".

"سأحصل على عمل" أصررت. "سيكون لدينا عائلة".

"أوه لأجل المسيح".

"لا تريدين عائلة؟ ألا تحبين الأطفال؟"

نهضت سريعًا. "عد إلى البيت آرتورو. أرجوك عد إلى البيت. لا تفكر فيَّ بعد الآن. عد إلى الجامعة. تعلم شيئًا"، كانت تبكي.

"يمكنني بناء أحجار القرميد،" قلت متقدمًا نحوها. رمت ذراعيها من حولي، وطبعت قبلة رطبة على خدي، ثم دفعتني بعيدًا.

"عد إلى البيت آرتورو. من فضلك". دخلت وأغلقت الباب.

نزلت نحو خطوط السكة الحديدية وتأرجحت صاعدًا سطح قطار شحن متوجه إلى دنفر. من هناك استقللت شاحنة أخرى إلى بولدر ومن ثم البيت. في اليوم التالي ذهبت إلى حيث كان يعمل أبي في بناء الطوب.

"أود أن أتحدث إليك"، قلت. نزل من على السقالة وتوجهنا إلى كومة من ألواح خشبية.

"ما الأمر؟" قال.

"لقد تركت الجامعة".

"لماذا؟"

"أنا لست أهلاً لها".

اكتأب وجهه للغاية. "وما الذي ستفعله الآن؟"

"لا أعرف. لم أفكر في الأمر".

"يا يسوع، أنت مجنون".

أصبحت متبطلاً في بلدتي. تسكعت هنا وهناك. عملت في إزالة الأعشاب الضارة، لكنه كان عملاً شاقًا وتركته. عمل آخر، تنظيف النوافذ. سرعان ما تركته. بحثت في جميع أرجاء بولدر عن عمل، لكن الشوارع كانت ملأى بالعاطلين عن العمل من الشبان. كان العمل الوحيد في البلدة هو توزيع الصحف مقابل خمسين سنتًا في اليوم. رفضته. استندت على الجدران في قاعات البلياردو. بقيت بعيدًا عن البيت. خجلت من تناول الطعام الذي قدمه كل من أبي وأمي. انتظرت دومًا خروج أبي. حاولت أمي أن تفرحني. صنعت لي فطيرة الجوز ومعكرونة الرافيولي.

"لا تقلق" قالت. "انتظر وسترى. سيحدث شيء. أنا أصلي من أجله".

ذهبت إلى المكتبة. نظرت إلى المجلات، إلى ما في داخلها من صور. ذات يوم ذهبت إلى رفوف الكتب، وسحبت كتابًا. كان وينسبرج، أوهايو. جلست إلى طاولة طويلة من خشب الماهاغوني وبدأت أقرأ. انقلب عالمي فجأة رأسًا على عقب. تقوضت السماء. استحوذ الكتاب علي. وترقرقت الدموع. خفق قلبي بسرعة. قرأت حتى التهبت عيناي. أخذت الكتاب إلى البيت. قرأت كتابًا آخر لأندرسن. قرأت وقرأت، وكنت قانطًا ووحيدًا

وعاشقًا للكتاب، لكتب كثيرة، حتى جاء بشكل طبيعي، وجلست هناك مع قلم ولوح طويل، وحاولت الكتابة، حتى شعرت بأني لم أعد أستطيع المتابعة لأن الكلمات لم تكن تأتي كما فعلت في كتاب أندرسن، لقد أتت فقط مثل قطرات دم من قلبي.

الفصل العاشر

لم يكد يمر أسبوع دون أن تصل رسالة من أمي. مدونة على ورقة مدرسية مسطرة عاكسةً مخاوفها، وآمالها، وقلقها، ونظرتها الغريبة لما يحدث في العالم. أزعجتني تلك الرسائل. رفرفت عباراتها في رأسي مثل طيور وقعت في شرك، تخبط في أكثر الأوقات غير المواتية. كثيرًا ما ضحكت منها ببساطة، وفي أوقات أخرى أغضبتني وأثبطتني، وأشفقت على أمي البريئة المسكينة:

كن حذرًا، آرتورو. اتلُ صلواتك. تذكر أنك لو صليت مرة صلاة السلام عليك للعذراء مريم ستمنحك أي شيء. ضع ميدالية الكتف[1]. لقد باركها الأب آجاثا، رجل مبارك جدًا. اشكر الله لأنك تملك واحدة...

جارنا جو سانتوتشي زميلي في المدرسة الثانوية، أنهى دورة في البحرية وعاد الآن إلى بولدر من جديد. كتبت أمي:

مسكينة السيدة سانتوتشي. عاد ابنها بعد ثلاث سنوات شيوعيًا. طلبت مني أن أصلي له. يا له من فتى لطيف. تحدثت إليه هذا الصباح ولم أستطع أن أصدق أنه شيوعي. يبدو أنه لم يتغير... أرجوك أرسل إلينا بعض المال عندما تستطيع. فاتورة البقالة تقدر بـ 390 دولارًا. أدفع نقدًا الآن، لكن ليس هناك ما يكفي ولم يعمل والدك منذ أسبوعين... أفتقدك طوال الوقت. وجدت جوربًا من جواربك مثقوبًا ورتقته وشرعت بالبكاء. اتل صلواتك. ذهبت إلى القداس هذا الصباح وتناولت على نية حظك الطيب.

1- نوع من التمائم.

حدث جو سانتوتشي والدك عن لوس أنجلس. يقول إن النساء سيئات هناك وتنتشر الحانات في كل مكان. ضع ميدالية الكتف للحماية. اذهب إلى القداس، حاول أن تلتقي بعض الفتيات الكاثوليكيات...

أنا مسرورة لأنك تعمل في المطعم، والعمل الآخر مع الكاتب. أرسل إلي بعض المال إذا كان في وسعك ذلك. جرح والدك يده ولا يمكنه أن يعمل لفترة. نفتقدك. جرب أن تصلي تساعية[1]. لم يصلِّ أحد يومًا التساعية دون أن يحصل على المساعدة...

أرسلت إليها 200 دولار من مرتبي الأول في الأستوديو وأخيرًا دفعت فاتورة البقالة.

1- وهي صلاة تتلى على مدى تسعة أيام على نية حدوث أمر معين.

الفصل الحادي عشر

كنت والسيدة براونيل نعاني بعض الاضطرابات. كان لديها شكوك حول عملي في الأستوديو، وكنت حريصًا على ألا تسألني عنه. كنا نصمت فترات طويلة، وكان من الصعب ابتداع حديث صغير. جالسين قبالة المذياع استمعنا لجاك بيني وبوب هوب وفريد آلن حتى حان موعد النوم. تمددنا في العتمة وحدقنا في السقف حتى جاء النوم. شعرت بأني بعيد عنها، انجراف مع غرابة متنامية. كانت باردة وصامتة في الصباح، الهوة تتسع. كان الانفصال، الانقطاع قادمًا، وعرفت ذلك. قلت لنفسي إنني لا أهتم. كنت أعمل وأملك المال. لم يكن البقاء في ذلك الفندق العتيق واجبًا علي. يمكنني الانتقال إلى هوليوود الآن، إلى تلال هوليوود. يمكنني أن أستأجر منزلاً ومدبرة منزل أيضًا. لم تكن بنكر هيل أبدية. توجب على الإنسان أن يمضي قدمًا.

أحزنني التفكير فيها. جلست في مكتبي وتلويت، أفكر كم كان عمرها، تكبر أمي بخمس سنوات، وحاولت التقيؤ، حاولت أن أسعل لأخرج البشاعة. فكرت في وجهها، التغضنات الصغيرة حول عينيها، العروق في عنقها، الجلد المغضن في ذراعيها، جسدها المسن، الردفين الصغيرين جدًا، فساتينها الطويلة جدًا، الشقوق في ركبتيها عندما تجلس، خديها الغائرين عندما تنزع طقم أسنانها، قدميها الباردتين، أساليبها القديمة الكنساسية. لم أحتج إلى ذلك، قلت لنفسي. لم يكن علي سوى أن أدير ظهري لأجعل ذلك يبتعد. يمكنني أن أحصل على أي فتاة في البلدة، أي نجمة سينمائية، ربما

بطلة. كل ما عليَّ فعله هو أن أنفِّذ. كان من الخطأ أن أمضي أفضل سنواتي مع امرأة عجوز لا تعطيني سوى أفكار قديمة بالمقابل.

احتجت إلى أنثى جميلة ومشرقة بالآداب، منقوعة في الأدب، واحدة تحب كيتس وروبرت بروك وإرنست دوسون. ليس امرأة حصلت على إلهامها الأدبي من صحف كنساس المحلية. لقد صادقتني نعم، لقد كانت لطيفة معي، نعم، وكنت لطيفًا معها أيضًا. لقد أعطيتها قوتي، وكنت صديقها ورفيقها. حان الآن وقت التقدم.

نظرت حول مكتبي وتنهدت. أحببت كل شيء. لقد ولدت من أجله. ربما لم أكن أكتب سطرًا، لكن كان عليَّ أن أجد محطتي. كنت أكسب مبلغًا جيدًا من المال وكان المستقبل بغير حدود. كان عليَّ أن أبتعد عن تلك المرأة.

جلست طوال الصباح أفكر مغتمًا، لأن الحال كان دومًا كذلك، أجس الرماد، باحثًا عن الشوائب، غارقًا في اليأس. عند الظهر اتصلت، وقفز قلبي وكنت سعيدًا.

"أمازلت غاضبًا؟" سألت.

"لا، وأنت؟"

"لا"، قالت، "أنا آسفة. لم أدر ما الذي حل بي".

"لم يكن خطؤك. أنا الملام. لا أعرف السبب. لم أعرف يومًا السبب. أنت من عليها أن تسامحني".

"أسامحك، أسامحك. أنت فتى عذب. أنت طيب معي. ليس علينا أن نتشاجر".

"لن يحدث ثانية. لنمرح قليلاً. لنحتفل".

"أحب ذلك. لنفعل شيئًا مجنونًا".

"ما رأيك بعشاء كبداية؟"

"سأرتدي بذلتي الجديدة".

"أنا اشتريت بذلة جديدة أيضًا".

"البسيها".

"أحبك،" قلت. " أنت أعز امرأة في العالم. سنقيم حفلة".

لم تكن هناك عندما عدت إلى الفندق عند الساعة السادسة. كان هناك ملحوظة لي على المكتب. كتبت فيها "سأعود بعد قليل". عدت إلى غرفتي، اغتسلت وارتديت بذلتي الجديدة. لم أرتدها من قبل قط. بذلة ممتازة مخاطةً يدويًا بمئتي دولار. تفحصت نفسي في المرآة. كانت الصورة مثالية: كاتب بأجر باهظ. كانت الأكتاف محشوة أكثر قليلاً مما أردت، لكنه كان لباسًا مبهجًا. ناسب واحدنا الآخر. نزلت إلى الردهة نحو البهو وكانت هناك خلف المكتب، تبتسم وأنا أقبلها. كان هناك وشاح على شعرها. سحبته وتبرجت.

"أعجبتك"؟ سألتني. "إنها تسريحة بيج بوي[1]".

كان شعرها الأشيب ملفوفًا عند الأطراف إلى الأسفل لفافات ملساء. كان متيبسًا من صالون الحلاقة. تفحصته لكن لم أتمكن من التوصل إلى رأي.

"عظيم"، قلت. "ممتاز".

لمحت لمسة من لون أحمر على خديها. بدت فائضة.

"إلى أين سنذهب؟" سألت.

"أولاً سنذهب إلى مطعم رين وجين".

1- قصة شعر قصيرة.

"جميل"، قالت. "لنتناول مشروبًا".

دخلنا إلى شقتها، وكان هناك مارتيني على الطاولة. رفعت كأسًا وشربت نخبها:

"في صحة ألطف وأحلى فتاة في العالم أجمع".

ابتسمت ورشفت مشروبها. جعلها تسعل وضحكت. بينما كانت ترتدي ثيابها جلست وشربت كأسين آخرين. طال بقاؤها في الحمام وقتًا طويلاً. عندما خرجت تصنعت بمرح عرض أزياء، عرضت بذلة من ماركة جون كراوفورد بأكتاف عريضة وتنورة ضيقة. كانت أطول في الحذاء ذي الكعب العالي ورباط عند الكاحل. شعرت بارتجاف الرغبة وقبلتها. كان هناك غشاوة رقيقة من أحمر الشفاه القرمزي على فمها. ربما كان كثيرًا لم أعرف. جعلني أشعر بالغرابة.

ركبنا سيارتي وخرجنا من ويلشاير نحو فيرمونت وركنًا عند ساحة انتظار السيارات الخاصة بمطعم رين وجين. كنا نتردد على هذا المطعم وكان ممتعًا أن تحيينا جين الكبيرة والندل. شربنا النبيذ وأكلنا كثيرًا. عندما حان وقت المغادرة سألت، "إلى أين الآن؟"

كنت جاهزًا له. "دعي الأمر علي".

عدنا إلى ويلشاير وانعطفنا نحو فندق الإمباسادور. كانت هادئة ومبتسمة ومشعثة قليلاً. اتكأت على ظهر المقعد، فقدت الأكتاف العريضة لبذلتها المفصلة أناقتها وبدت فضفاضة عليها. في الإمباسادور دخلت إلى الدرب الخاص بالفندق وركنت السيارة وخرجت. خرجت من السيارة ونظرت مربكة. أخذت ذراعها.

"لنمض،" قلت، مرشدًا إياها نحو الفندق.

"إلى أين نحن ذاهبان؟" سألت.

"إلى ملهى بستان جوز الهند (Coconut Grove) وموسيقى آنسون ويكس".

صرخت وعانقت ذراعي ببهجة. "رائع جدًا أن تكون برفقة كاتب شهير!"

"ليس شهيرًا، لكنه سيؤدي الغرض.

سرنا نحو مدخل الفندق.

"قدمي تؤلمني"، همست.

اندفعت نغماتِ موسيقى آنسون ويكس من قاعة الرقص ونحن ندخل البهو. كانت الأغنية "حيث يلتقي أزرق الليل بذهب النهار". أخذت ذراعها وأحسست بوجيب قلبها.

"أنا سعيدة جدًا"، قالت. "لطالما أردت أن آتي إلى ملهى بستان جوز الهند وها أنا هنا"

حيانا رئيس الندل وانحنى، "مساء الخير".

أومأت. "نريد طاولة".

قادنا إلى غرفة بهية واسعة بأضوائها الملونة وأشجار جوز الهند. انزلق الراقصون على ساحة الرقص أزواجًا مع الموسيقى، والأضواء الموضعية لعبت بأشعة ملونة على الجدران والسقف. كانت طاولتنا على الصف الثاني. جلسنا.

"هل تودان شرب الكوكتيل الآن؟" سألنا النادل.

كانت السيدة براونيل منقطعة الأنفاس وبالكاد استطاعت أن تومئ بالإيجاب.

"سأشرب البراندي"، قلت.

وضعت يدها على يدي الملقاة على الطاولة. "سأشرب كأسًا أيضًا"، قالت.

اختفى النادل. راقبنا الراقصين.

"لا يمكنني الرقص"، قلت. "على الأقل لا أجيده".

عصرت يدي ثانية. "سأعلمك".

هممت بالنهوض. "لنجرب".

"ليس الآن"، همست. "لننتظر رقصة أو اثنتين".

ثم عاد النادل بمشروباتنا. وضع البراندي أمامي وابتسم وهو يقدم للسيدة براونيل.

"تفضلي، يا أماه"، قال.

طعنها ذلك مثل سكين. حدقت عيناها المجفلتان بي. بدتا مبتليتين بالذنب، محرجتين، مرعوبتين. أخفضت رأسها وظننت أنها ستبكي. لكنها لم تفعل. رفعت وجهها وابتسمت بشجاعة. ابتعد النادل محرجًا.

"اشربي البراندي"، أصررت.

رشفت بحذر وعاد انتباهنا إلى الراقصين.

ما حصل بعد ذلك كان سعيي لأن ألقي بنكتة، لأبعث فيها السرور، لأخفف من وقع غلطة النادل. بدأت الفرقة بعزف فالس شتراوس. ثم قلت.

"هلا رقصنا يا أمي العزيزة؟"

بدت مرعوبة، تعض شفتيها وتحدق بعجز، فجأة فاضت عيناها

بالدموع. تبكي بشكل متعذر ضبطه، هزت الطاولة وهي تتلمس طريقها وهرعت مسرعة نحو البهو. وضعت البراندي وأسرعت خلفها. لم تكن في البهو ولا عند سلم الدرج، وخرجت في الحال لأرى سيارة أجرة تخرج من الطريق الخاص والسيدة براونيل جالسة في مقعدها الخلفي. ركضت خلفها مناديًا لكن السيارة أسرعت. عدت إلى البستان، دفعت الفاتورة وذهبت إلى سيارتي.

يا للورطة. عدت إلى الفندق مرغمًا. كرهت مواجهتها، دموعها، لكن كان واجبًا عليَّ ذلك. أدرت المفتاح في باب شقتها ودخلت. كان صوت هسيس الماء من الدوش في الحمام. كانت بذلة جون كراوفورد منشورة على الأرض، ملقاة بصورة مثيرة، كما لو أنها رميت عن جسدها وركلت جانبًا. قميصها معلق على كرسي، حذاؤها وجورباها مرمية بإهمال.

خلعت ثيابي وبقيت في سروالي الداخلي، وانزلقت بين أغطية الأريكة التي تتحول إلى سرير، وثنيت ذراعي خلف رأسي، أنتظر ظهورها. لم يكن لدي ما أقوله. قررت أن أدع الأمر لها. خرجت أخيرًا، ارتدت قميص نومها، أغضبها حضوري غير المتوقع. كانت قد غسلت شعرها، والتسريحة، وتدلى شعرها في خصل مبللة. كان وجهها نظيفًا ومليئًا ومتغضنًا.

"أرجوك اذهب"، قالت.

"أنا آسف".

تقدمتْ نحو النافذة وفتحتها على مصراعيها. اندفعت برودة الليل من منحدر التلة. بصمت جمعت ملابسي، معطفي، بنطالي، قميصي، حذائي. بداية فكرت أنها ترتب. ولكن عوضًا عن ذلك التفتت إلى النافذة ورمت كل شيء إلى الليل. قفزت من السرير وهرعت نحو النافذة. في الأسفل رأيت ثيابي مرمية على قطعة أرض نمت فيها الأعشاب الضارة. كان منحدرًا

شاهقًا. بدت أرديتي المتناثرة مثل جثث. بنطالي معلق من غصن شجرة. حدقت بها.

"راضية؟"

"ليس قبل أن تغادر".

شرعت في جمع ملابسها-بدلة كراوفورد، القميص، التنورة التحتية. هرعت لتوقفني، وتصارعنا، ندفع ونسحب، لكني كنت الأقوى، وأخذت ما بحوزتها، ورميت أشياءها من النافذة. بابتسامة قلت: "سأذهب الآن".

"ولا تعد"، قالت لاهثة. غادرت الردهة نحو غرفتي، ارتديت رداءً وخفًا ونزلت إلى باب خلفي للفندق، يفضي إلى منطقة الفناء. وأنا أتسلق منحدر التلة نحو ملابسي رأيت السيدة براونيل تهبط التلة. حدق أحدنا بالآخر وبدأنا نجمع أشياءنا. كان علي أن أتسلق شجرة لأصل إلى بنطالي. عندما نزلت إلى الأرض كانت تدب عائدة نحو واجهة الفندق. عند قدمي كانت فردة من فردتي حذائها. التقطتها ورميتها. ضرب الحذاء مؤخرتها، التقطته ورشقتني به. تهادى على رأسي.

كنت حزينًا للغاية عندما عدت إلى غرفتي. النساء! لا أعرف شيئًا عن النساء. لم يكن هناك تفهم لهن. فتحت حقيبة وألقيت حاجياتي فيها. تحدثت الغرفة معي، وناشدتني البقاء-صورة سمك ماكسفيلد على الجدار، الآلة الكاتبة على الطاولة، سريري، سريري الرائع، النافذة المطلة على التلة، مصدر الكثير من الأحلام، من الأفكار، من الكلمات، جزء من حياتي، صدى نفسي يناشدني البقاء. لم أرغب في الذهاب لكن لم يكن منه بد، لقد أخطأت بشكل من الأشكال وطردت نفسي، ولم يكن هناك مجال للتراجع. وداعًا لبنكر هيل.

الفصل الثاني عشر

عندما عرف فرانك إدجنتون بأني كنت بلا مسكن دعاني إلى منزله في التلال أعلى طريق بيكوود. كان منزلاً مؤلفًا من غرفتي نوم في خميلة من أشجار الأوكاليبتوس. أراني غرفتي، ووضعت حقيبتي على الأرض غير المفروشة. لم يكن هناك سرير في الغرفة-فيما عدا حشية مزدوجة مقحمة أمام الجدار.

كان العيش مع إدجنتون تجربة غريبة. انبثق أسلوبه من طفولته، والألعاب التي لعبناها في مكتبه لم تكن شيئًا بالمقارنة مع الألعاب المتناثرة في غرفة المعيشة في منزله. انغمسنا في حياة ساحرة رومانسية فاتنة في هوليوود، بدأنا بلعبة البنج بونج في الكراج. ثم انتقلنا إلى المطبخ وملأنا قدحينا بالنبيذ. رمينا أنفسنا في غرفة الجلوس على الأرضية الخشبية، وتحمسنا للعبة الأقراص والكأس. كلما شربنا أكثر ازداد لعبنا وحشية. تعاركنا على لوح السهام. نمنا أحيانًا ونحن نلعب البينجو. كان نقيًا ونظيفًا وعندما أمطرت وهدر الماء على السطح أشعلنا ضوء الغاز في الموقد وكان مثل العودة إلى زمن الصبا قرب نار المخيم في الجبال.

نادرًا ما كنت أرى رئيسي هاري شيندلر. عندما أصادفه في المصعد أو في الردهة كان يمسك بذراعي بمودة ويقودني معه.

"كيف تسير الأمور؟"

"بخير"، أجيب، "بخير تمامًا".

"أنت تقوم بعمل جيد. واصل على هذا المنوال".

"أنا لا أكتب، هاري. أريد أن أكتب".

"استمر هناك. خذ وقتك. دعني أهتم بكتابتك".

يوميًا كانت غرفة الاستقبال التي نتقاسمها تعج بأناس مبهمين ينتظرون رؤيته. لابد من أنهم كتاب، مخرجون، منتجون. عندما سألت سكرتيرتي عنهم لم تقل. مع مرور الوقت شعرت بأني مثل يتيم، منبوذ، غير منتج، مجهول ومنفي. أبقاني المال هناك، غياب الفقر، الخوف من عودته، التفكير في أني قد أعود للعمل كنادل مساعد جعلني أرتجف. أخرجت دفتر حساب مدخراتي وتفحصت المبلغ. كان أكثر من 1800 دولار، وما أزال أرسل المال إلى البيت. لم يكن لدي سبب للشكوى.

ذات صباح قرعت بابي تيلما وفتحته.

"يريد هاري أن يراك".

وجدت شيندلر يشعل سيجارًا طازجًا.

"ربما يكون عندي لك شيء قريبًا جدًا"، قال. شعرت بالإثارة.

"هل تعني مهمة؟"

"ربما، نحن نتفاوض".

"ما هي؟"

"رواية العبقري لتيودور دريسر".

"أوه يا إلهي! متى ستعرف؟"

"خلال أسبوعين".

غادرت مكتبه حالمًا. تفحصت تيلما وجهي، انحنيت وقبلتها على فمها.

"أعطني نسخة من رواية العبقري لتيودور دريسر". جاءت الرواية من مكتبة الأستوديو خلال ساعة، وبدأت بالقراءة. كانت رواية طويلة جدًا ومع نهاية الأسبوع كنت قد قرأتها مرتين وجمعت دفترًا من الأفكار عن كيفية تحويلها إلى فيلم.

بعد مرور شهرين كنت قد قرأت العبقري للمرة العاشرة كما أظن وأصبح بحوزتي أربعة دفاتر محشوة بالملاحظات، مكومة على مكتبي. كلما رن الهاتف قفزت، ظنًا مني أنه شيندلر. أبقيت بابي مفتوحًا مراقبًا غرفة الاستقبال منتظرًا حضوره. كان لمكتبه باب آخر يفضي إلى الردهة. كلما سمعته يفتح قفزت وهرعت إلى الخارج. ظهر مرتين عندما كنت واقفًا أنتظر. وكما لو أنه لم يرني على الإطلاق وهو يمر. فلم يكن مني إلا أن انسللت خلسة إلى مكتبي وجلست متأملاً.

لماذا كان يفعل هذا؟ ما الذي كان يحدث لي؟ هل ثمة مؤامرة ضدي في العالم؟ هل ضايقته؟ ألم يقدم لي هذا العمل؟ هل لعنني الله القدير؟ ربما كانت أمي على حق. افقد إيمانك وستفقد كل شيء. هل كانت تعلم بطرق الرب أكثر مني؟ هل كنت أيضًا متأخرًا على التكفير؟ نزلت إلى ساحة انتظار السيارات، ركبت سيارتي وانطلقت صاعدًا جادة صانسيت نحو الكنيسة الكاثوليكية. ركعت عند المقعد الأمامي وصليت:

"أرجوك يا الله، افعل شيئًا بشأن تلك المهمة. لم أطلب منك شيئًا منذ سنوات. افعل هذا من أجلي وسأعود إلى ذراعي أمي الكنيسة لبقية عمري".

بعد فترة ظهر الكاهن ودخل إلى كرسي الاعتراف. سجدت بعض العجائز في الجوار. سجدت معهن. ثم جاء دوري ودخلت كرسي الاعتراف. رأيت وجه الكاهن الأبيض من خلال شبك خشبي. لم يكن عندي ما أقوله. غادرني ذنب الآثام الماضية. ركعت هناك محرجًا. ومرت اللحظات. تحرك الكاهن. رأت عيناه عيني من خلال الشبكة.

"نعم؟" سأل.

"أنا آسف"، همست، "لم أحضّر نفسي". نهضت وخرجت، سرت في الممر وخرجت من خلال الأبواب الأمامية الثقيلة نحو الشارع. كنت أكثر كآبة من أي وقت مضى، في مكان ما في قلبي كان هناك دومًا قناعة بأن الكنيسة هي ورقة الآس التي أستعملها في المآزق. لطالما آمنت بهذا دون أن أصرح به. الآن ذهبت القناعة وكنت ضائعًا، أواجه عالمًا عدائيًا. نزلت إلى سيارتي وركبتها. فجأة خرجت بيأس مجددًا وعدت مسرعًا إلى الكنيسة وركعت وحاولت أن أصلي.

تمتمت صلاة السلام عليك يا مريم ووجدت أن تيلما فاربر تقاطعها. السلام عليك يا مريم يا ممتلئة نعمة وتيلما فاربر عارية بين ذراعي. مريم المباركة، يا أم الله، أقبل نهدي تيلما فاربر، أتحسس جسدها وأمرر يدي على فخذيها. صلي من أجلنا نحن الخطأة الآن وفي ساعة موتنا وشفتاي تحركتا على فرج تيلما وقبلتها بنشوة. كنت تائهًا أتلوى. شعرت بجسدي ينحني هناك، الصلابة في عضوي، انتصاب كامل، يا لسخافة الأمر، الانقسام المغضب. نهضت وخرجت من هناك نحو سيارتي وانطلقت مرعوبًا مهزوزًا تافهًا.

كنت سعيدًا عندما عدت إلى مكتبي. كان مثل عش مواسٍ. لم تكن تيلما هناك. أغلقت الباب، جلست إلى مكتبي وأشعلت سيجارة. كانت تحدث لي أمور غامضة مشوشة. خرجت من العالم والآن كان من الصعب عليَّ أن أجد طريق العودة. فكرت في فرانك إدجنتون تحت في الردهة. ربما يمكنني أن أخبره عن مشكلتي. لكن لم يكن من ذلك فائدة ترجى. كان إدجنتون تهكميًا جدًا، ونافد الصبر. ربما قد يضحك ويلقي باللوم على أصلي القروي.

كان هناك قرع على الباب. كانت تيلما. منذ بضع لحظات ركعت في الكنيسة وقبلت أعضاءها وهاهي هنا من جديد. لقد أحسست بشيء.

"هل أنت بخير؟" سألت.

"بالتأكيد".

"هاري يريد رؤيتك".

"ما الأمر؟"

"وكيف لي أن أعرف؟"

عبرت غرفة الاستقبال نحو باب شيندلر وقرعته.

"ادخل".

فتحت الباب ووجدته جالسًا هناك.

"أردت رؤيتي؟"

"أخبار سيئة".

اقتربت أكثر.

"لا يمكننا شراء كتاب دريسر"، قال.

"لم لا؟"

"ليس للبيع". لم يبد الأمر مهمًا بطريقة ما.

"ماذا الآن؟" سألت.

"واصل ما تفعله".

"لدي صفحات وصفحات من الملاحظات عن كتاب دريسر. هل تود رؤيتها؟"

"لا"، قال، "انس أمرها".

"أعطني شيئًا أكتبه".

"ليس لدي شيء".

شعرت بالغضب. "فكر في شيء أيها النذل!"

نظر إلي بفك مشدود، ونهض ببطء.

"اخرج من هنا".

التفت وخرجت، وعدت إلى مكتبي. شعرت بلوعتي حينها، حافة العالم، وحشة في كوني بعيدًا وتائهًا، وكنت أبكي. رميت نفسي على الأريكة وانجرفت بالبكاء، أنشج. جاءت تيلما إلى الباب. تحدثت بهدوء.

"آرتورو ما الأمر؟"

نهضت وأخبرتها بما قاله شيندلر، وبدأت بالبكاء من جديد.

"أنت مسكين!" انتقلت نحو الأريكة وجلست. شعرت بثقل جسدها وهي تتهاوى على الأريكة. شعرت بتحسن. تشجعت، نشجت مجددًا. وضعت ذراعها الطويلة الناعمة على كتفي وربتت على عيني بمنديلها. كانت رائحته من عطرها. التفت نحوها ووضعت رأسي على كتفها. عانقتني بلطف.

"ساعديني تيلما"، قلت. "أنا تعيس جدًا".

مسحت عيني المبللتين وقربتني إليها، ضغطت نهديها على صدري.

"أوه تيلما ساعديني!"

"اهدأ، اهدأ"، هدأتني، وهي تلاطف شعري.

"أوه تيلما، قبليني!"

نهضت، وذهبت إلى الباب وأغلقته، ثم عادت لتجلس بجانبي مجددًا.

"أوه تيلما. لو تعرفين فقط كم تشهيتك، كم أردت أن أضمك بين ذراعي،

لأقبلك".

"لقد خمنت ذلك"، قالت. "من نظرتك إليَّ، كنت أعرف منذ وقت طويل".

تمددت على الأريكة وجذبتها نحوي، استقر فمها على فمي، ناعمًا وباردًا وملآنًا. فجأة تحسست عضوي، وأنزلت السحاب، في حين وقفت ورفعت تنورتها وجذبت سروالها الداخلي الأبيض. نزلت إلى الأرض وبسطت أطرافها.

"أسرع"، همست.

تدحرجت من على الأريكة وتموضعت بين ساقيها الناعمتين المجوربتين، لكن السحاب أزعجني مع ذلك، وقاتلته بإلحاح. يداها امتدتا إلى حزامي وبحركة واحدة عنيفة كان بنطالي في الأسفل، انحنيت عليها، عضوي جاهز عندما فكرت في طعنها لكني أخطأت وأخطأت ثانية ومع صرخة صغيرة من الضيق أمسكت به وحاولت إدخاله وتلك اللحظة سمعت نقرة على مقبض الباب وصوت الباب يفتح وأدرت عيني نحو الباب ورأيت هاري شيندلر ينظر إلينا، فارقت الحياة القضيب ولم أستطع أن أفعل أكثر من الاستلقاء هناك بحماقة في حين تيلما مصدومة تمسك الشيء الرخو بيد واحدة.

"حسنًا تيلما"، قال شيندلر بهدوء. "ضعي هذا الفطر من يدك، واخرجي إلى الجحيم".

نهضت، سوت فستانها، ونظرت إليه باحتقار وتحد، فشخت بمحاذاته وخرجت من الغرفة، وسروالها في إحدى يديها.

"سأراك لاحقًا!" هددها. رفعت رأسها بجرأة.

نهضت ورفعت بنطالي.

"لنتحدث"، قال شيندلر. التفت وخرج.

وجدته ينتظرني، قدمه على المكتب، سيجار جديد في فمه. نظر إلي بابتسامة متكلفة.

"لا يمكنني أن أصدق،" قال. "ليس ممكنًا".

"أنا آسف، هاري".

"آسف على ماذا؟ لم يكن خطؤك. لم يكن يومًا كذلك".

"لكنه خطئي. لقد استدرجتها".

رمى قدمه إلى الأرض وانحنى للأمام.

"اسمع يا ولد. هي تأكل الكتّاب أحياء. أقصد الكتاب الكبار الفائزين بجائزة بولتزر، الكتاب الحائزين على جائزة الأكاديمية، الذي يقبضون 3000 دولار في الأسبوع. هذا ما لا أفهمه. أنت! أنت لم يظهر اسمك مرة واحدة على الشاشة حتى!"

لم أعرف فيما إذا كان يمدحني أو العكس.

"هذا ما حدث"، قلت. "لم أكن أتوقع ذلك إلا لمامًا. لكن لا تضع اللوم عليها. أقصد لا تطردها".

"أنا أطردك"، قال شيندلر. "من الآن فصاعدًا، أنت مطرود".

"وماذا عن تيلما؟ هل هي مطرودة أيضًا؟"

"لا يمكنني طردها. لن أطردها أبدًا. أريدها هنا لأبقي عيني عليها، لكني سأقول لك هذا-إذا حدث هذا ثانية سأطلقها".

قلت، "يا إلهي، شيندلر"، وخرجت دائخًا.

الفصل الثالث عشر

ينبغي أن يكون لديك وكيل. دونه ستكون منبوذًا ومجهولاً. امتلاكك وكيلاً يمنحك منزلة، حتى لو لم يدعمك قط. عندما يسأل كاتب كاتبًا آخر، "من هو وكيلك؟" وتجيب، "ليس لدي وكيل،" سيظن في الحال أنك تفتقر إلى الموهبة. كان وكيل إدجنتون سيريل كورن.

"لن يعجبك، لكنه جيد" حذرني إدجنتون.

أرسلت ثلاث قصص منشورة في مجلات إلى مكتب كورن في بيفرلي هيلز، وانتظرت منه اتصالاً هاتفيًا.

لم يتصل قط. أخيرًا، اتصل إدجنتون به وضرب لي موعدًا. كان مكتبه يقع في مبنى جديد في شارع بيفرلي. أعلنت سكرتيرته عن قدومي وجلست منتظرًا. بعد ساعتين سُمح لي بالدخول إلى مكتب الرجل العظيم.

وقف وسط غرفته المفروشة بالسجاد، يقرع كرات الجولف داخل كأس. لم يقل حتى مرحبًا. أخيرًا، ضرب مضربه الجولف بتركيز كبير، تحدث دون أن ينظر إلي.

"قرأت قصصك القصيرة"، قال.

"هل أعجبتك؟"

"كرهتها. لن تحظى بفرصة في محاولتك بيع تلك النفايات للسينما".

"أنا لا أحاول ترويجها في السينما. أنا أردت إثبات مقدرتي على الكتابة

فحسب".

وضع المضرب جانبًا، ونظر إليَّ للمرة الأولى. "لا أظن أن في مقدورك ذلك".

"هل تعني بأنك لست راغبًا في التعامل معي؟"

"هل سبق أن كتبت نصًا سينمائيًا؟"

"لا، لكني كتبت معالجة لهاري شيندلر لرواية العبقري لدريسر".

"وقام بطردك. هل سبق أن تعاونت مع أحد؟"

"لا".

"لدي زبون يحتاج إلى مساعد؛ شابة طيبة السريرة وسليمة. اسمها فيلدا فانٍ در زي. هل سمعت بها؟"

"أبدًا".

"أين كنت طوال هذه السنوات؟ كتبت فيلدا فان در زي عددًا من السيناريوهات يفوق ما قد تكتبه لو قيض لك أن تعيش ثلاثة أعمار".

"هل تظن بأننا سنعمل معًا بشكل جيد؟"

"إنها فرصة كبيرة لك. ربما يظهر اسمك على الشاشة".

"أود أن أجرب".

"سأعلمك" رن الهاتف. تناوله كورن وأومأ لي بتلويحة من يده. وكانت تعني: اخرج. غادرت مشمئزًا. لقد أزعجني وأهانني وملأني بالبؤس، ولم أرغب في شيء منه. طوال الطريق إلى البيت كنت أصر على أسناني عندما أفكر في وقوفه هناك في سترته المخملية الحمراء يضرب كرات الجولف. أفضل أن أترك كل هذا العمل على أن أجعله وكيلاً لي. سأفرم اللحم في محل

آبي ماركس بدلاً من جعله يمثلني. عندما أخبرت إدجنتون عن لقائنا ابتسم بهدوء.

"إنه غريب الأطوار، لكنه وكيل جيد. انتظر وسترى ماذا سيحدث".

"لن أتحدث إلى ابن العاهرة".

تلقيت صباح اليوم التالي اتصالاً من مكتب سيريل كورن. كانت السكرتيرة: "يود السيد كورن أن يراك الساعة الثانية عصر هذا اليوم". وأقفلت الخط.

عند الساعة الثانية جلست في مكتب كورن أنتظر. دعيت للدخول عند الرابعة بعد أن دخنت علبة سجائر.

كان سيريل كورن خلف مكتبه، بسترته الحمراء يتحدث إلى امرأة جالسة قبالته. كانت امرأة ضخمة نضيرة بنهدين كبطيختين، ترتدي قبعة كبيرة وقرطين وثابين. كانت زينة وجهها كثيفة، شفتاها شديدتا الحمرة. ابتسمت لي.

"فيلدا"، قال كورن، "أود أن أعرفك على آرتورو بانديني. يقول إنه كاتب".

رفعت فيلدا يدها المزدانة بالمجوهرات وصافحتها. "سعيد بالتعرف إليك"، قلت.

"بكل سرور"، أجابت.

نهض كورن. "سأترككما إلى حين،" قال. "أود منكما أن تقرآ شيئًا". رفع مخطوطتين من مكتبه وناول واحدة لكل منا. "اقرآ هذه وقولا لي رأيكما. سأعود خلال ساعة". غادر المكتب وأغلق الباب.

"أنت صغير، أليس كذلك؟" قالت فيلدا.

"ربما أكون شابًا لكني كاتب عظيم".

ضحكت. كانت أسنانها اصطناعية. "أتعرف شيئًا"؟ قالت. "تبدو مثل سبينسر تريسي. رأيت سبينسر هذا الصباح في موسو فرانك. تناولنا الفطور معًا. كان يخبرني عن العمل مع لوريتا يونج، كم أحَبَّه. إنها جميلة حقًا، ألا تظن ذلك؟ أعرف لوريتا وسالي وأمهن. يا لها من عائلة جميلة. كانت متعاقدة مع شركة ميترو عندما كنت هناك. كنا نتناول الغداء معًا، أنا ولوريتا وكارول لومبارد وجون كراوفورد. ستحب جون. امرأة ذات شخصية رائعة. وروبرت تايلور! أقسم أنه أكثر الرجال وسامة في هوليوود، من بعد كلارك جيبل بالتأكيد. أنا وكلارك صديقان منذ زمن. تعرفت إليه منذ أن بدأ العمل في المهنة. لقد رأيته وهو يصعد إلى القمة، وانظر إليه الآن! يقولون إنه يحب كلوديت كولبيرت، لكني لا أصدق ذلك. رأيته في نادي التنس يوم أمس وسألته عن صحة الخبر. ضحك ضحكته المرحة الذكورية تلك، قبلني على خدي وقال، "هل تريدين الحقيقة يا فيلدا؟ أنا أحبك أنت". ألم يكن هذا سخيفًا؟ لطالما قال لي جون باريمور الأمر نفسه. يا له من إزعاج! لا يشبه إطلاقًا ليونيل أو إيثيل، بل هو روح طليقة، قصيدة رومانسية على شكل رجل. يقول بعض الناس إن إيرول فلين أكثر وسامة، لكني لا أستطيع تصديق ذلك. رونالد كولمان، مع ذلك شيء آخر، مفعم بالحيوية، بعينين براقتين، يتصرف كأمير. لقد أقام حفلة منذ عدة أسابيع في سانتا باربرا. كانت السهرة الأكثر روعة في تاريخ هوليوود. كانت نورما شيرر هناك، وتالولا بانكهيد وأليس فاي وجين هارلو ووالاس بيري وريتشارد بارثلمس وهارولد ليود ودوجلاس فيربانكس، ج ر. أوه، كانت خرافية؛ ليلة لن أنساها البتة!"

توقفت لتلقط أنفاسها. "لكن ها أنا أتحدث عن نفسي كالعادة. أخبرني هل تحب هوليوود؟"

"أحيانًا نعم"، قلت، "وأحيانًا لا".

"أليس ذلك مضحكًا!" هتفت. "قالت لي بات أوبرين الأمر نفسه الأسبوع الماضي في شركة وارنر براذر. كنا نتناول الغداء في الغرفة الخضراء في وارنر براذر، بات وأنا وبيتي ديفيس وجليندا فاريل. لا أعرف السبب الذي دعانا للحديث عن هوليوود، لكن بات بدت متفكرة جدًا وقالت بالضبط ما قلته للتو".

فتح الباب وعاد سيريل كورن. "كيف تجري الأمور؟" سأل.

"على نحو رائع"، قالت فيلدا فاندر زي. "سوف نؤلف فريقًا عظيمًا".

التفت نحوي. "هل أحببت القصة؟" سأل.

"بالتأكيد أعجبته"، قالت فيلدا. "لقد أحبها، أليس كذلك يا آرتورو؟"

"أظن ذلك".

صفق كورن بيديه. "إذًا قضي الأمر. سأتصل بجاك آرثر وأخبره بأن الاتفاق قد تم".

"من يكون جاك آرثر"؟ سألت. قبل أن يجيب قالت فيلدا:

"جاك آرثر هو واحد من أكثر المنتجين مرحًا في هوليوود. إنه صديقي الحميم منذ عشر سنوات. كنت الإشبينة في زفافه، وعرابة طفليه. هل هناك حاجة إلى قول المزيد؟"

"لا"، قلت. "هذا جميل، جميل".

أمر واحد عن سيريل كورن: عندما يريدك أن تغادر فإنه يكاد يرميك خارجًا. عاد إلى مكتبه وجلس.

"هذا كل شيء يا أولاد، سنبقى على اتصال".

خرجت مع فيلدا. نزلنا المصعد إلى الطابق الأرضي وخرجنا إلى ساحة انتظار السيارات.

"هل تعرف شيئًا عن المصارعة الهندية؟" سألت.

"ليس الكثير"، قلت.

"ليلة الأمس في منزل جينيت ماكدونالد، امتحن لويس ستون وفرانك مورجان أيديهما في المصارعة الهندية. كان هناك صراخ. تدافعا وتجاذبا إلى أن تفصد العرق من وجهيهما. وهل تعلم من الذي فاز؟"

"من؟"

"لويس ستون!" هتفَت. "هزم ذلك السيد المسن الجميل فرانك مورجان بالمصارعة الهندية. صرخ الجميع وصفقوا ضاحكين".

رمقتها. كان وجهها المدور متوردًا بالهياج. تعثرت الكلمات من شفتيها، متعذر إيقافها. كانت سخيفة، لا شك في ذلك. عاشت في عالم الأسماء، وليس الأجساد، ليس الكائنات البشرية، لكن أسماء المشاهير. لا يمكن أن يكون أي مما قالته صحيحًا. كانت ببساطة تخترعها بينما تثرثر. كانت كاذبة، كاذبة محببة، يفور عقلها بحكايات سخيفة.

أرشدتني إلى سيارتها، من نوع بنتلي برونزية اللون.

"واو!" قلت. أشعت عند سيارتها الصقيلة.

"تبدو غالية الثمن"، قلت. وهذا سَرَّها.

"اشتريتها من والاس بيري"، قالت. "قرر والي أن يشتري سيارة رولز رويس وأخذتها بالمقايضة".

فتحت الباب الخلفي وحدقت بالداخل. كان المقعد مخمليًا أخضر. كان هناك لطخة بنية في الوسط. ابتسمت.

"أنت تنظر إلى تلك البقعة البنية، أليس كذلك؟" كلير دود فعلتها. أخذتها إلى منزلها من حفلة في منزل جينيت ماكدونالد وأراقت كأسًا من النبيذ عليها. كلير المسكينة! مهانة جدًا، رغبت في أن تدفع أجر تنظيفها، لكني لم أقبل. من أجل ماذا الأصدقاء في النهاية؟"

"هل تريدين أن أتصل بك"؟ سألت. أعطتني رقم هاتفها وتصافحنا.

"هل يمكنني إيصالك؟"

"لدي سيارة"، قلت مومئًا نحو سيارتي البليموث.

"أليست فورد؟" سألت.

"تقريبًا"، قلت. "إنها من نوع بليموث".

"كان عندي واحدة. ليست مريحة".

تودعنا وتوجهت نحو سيارتي غير المريحة.

كان النص الذي أعطانا إياه سيريل كورن لهاري براوني. قصة عن حرب توسعية، عن نزاع بين رعاة البقر ورعاة الغنم. كان رعاة البقر هم الأشرار ورعاة الغنم هم الأخيار. وعن قبيلة معادية من الهنود قامت باختطاف البطلة جوليا، وحبستها في القرية الهندية. عندما علم رعاة الغنم ورعاة البقر باختطافها تعاونوا وانطلقوا لإنقاذ جوليا. بعد المعركة التي أنقذت فيها جوليا، تصافح رعاة الغنم ورعاة البقر وانتهت الحرب التوسعية على نحو سلمي.

بعد أيام توجهنا فيلدا فان در زي وأنا بسيارتها البنتلي إلى فينتورا نحو أستوديوهات شركة ليبرتي للقاء المنتج جاك آرثر. جلست إلى جانبها وهي تقود الآلة الرائعة. قالت إنها أحبت القصة. كانت كلاسيكية، وبالتأكيد سيتم ترشيحها لجوائز الأكاديمية. تصورت جاري كوبر وكلير تريفور

يلعبان الأدوار الرئيسة، ويلعب جاك لا رو دور ماجوا الزعيم الهندي.

"جاري كوبر صديقي"، قالت. "سأعطيه السيناريو. إنه يهتم لرأيي".

"يبدو هذا جيدًا"، قلت.

توقفنا عند ساحة انتظار السيارات في أستوديوهات ليبرتي وسرنا في الردهة نحو مكتب جاك آرثر. كان جاك آرثر مدخن غليون. قبَّل فيلدا على خدها وصافحني.

"حسنًا"، قال، "ما رأيك بالقصة؟"

"نفيسة"، قالت فيلدا. "أحببناها".

"فيها إمكانيات"، قال آرثر. "هل أنت جاهزة للذهاب إلى العمل؟"

"بالتأكيد"، قالت فيلدا. "كيف الأطفال؟"

"بخير، بخير".

"لابد من أن ترى أطفال جاك، آرتورو. إنهم المخلوقات الأكثر بهجة في العالم".

افترَّ ثغر جاك آرثر. "تحتاجين إلى مكتب"، قال متوجهًا نحو الهاتف.

قالت فيلدا بسرعة: "لن يكون هذا ضروريًا. سنعمل في منزلي" التفتت نحوي وابتسمت. "هل هذا يناسبك آرتورو؟"

"جيد، جيد"، قلت.

"حسنًا إذًا"، قال آرثر. "سأكون على اتصال مع سيريل كورن وسوف نعد العقود. إذا احتجتما إلى شيء فقط اصرخا". صافحني. "حظًا سعيدًا، بانديني. اكتب لي ضربة ساحقة".

"سأحاول". ودعناه أنا وفيلدا وغادرنا.

في طريق عودتنا إلى البلدة قلت: "لم أكن أعرف أننا سنعمل في منزلك".

"أنا أعمل هناك دومًا".

"أين تسكنين؟"

"في وادي بينديكت. منزل ويليام بويل القديم. ستحبه". بدأت تتحدث عن إيرين دون وميرنا لوي، لكني كنت اعتدت على هذا الآن وبالكاد سمعتها عندما انتقلت للحديث عن لو آيريس، فريدريك مارش، جين هارلو، وماري آستور. عندما توقفت أمام منزل فرانك إدجنتون كانت أيضًا تتذكر فرانكوت توني، وكان عليَّ أن أجلس هناك صابرًا حتى تنتهي الرواية. ثم خرجت وانطلقت مبتعدة.

في اليوم التالي انطلقت بسيارتي إلى وادي بينديكت نحو قصر فيلدا فان در زي الفرنسي. كان يستقر في بستان أشجار البتولا. أبيض وساكن وأرستقراطي. حمى برجان بأسطح حجرية المدخل الأمامي، وانتصب باب من خشب السنديان كبير بين أعمدة دوريكية[1]. أجابت مدبّرة المنزل عن طرقات مطرقة الباب التي لها شكل رأس أسد. كانت كهلة سوداء في زي الخادمة.

"أنا آرتورو بانديني".

"أعرف"، ابتسمت. "ادخل رجاء".

تبعتها عبر ردهة المدخل إلى غرفة المعيشة. كان المكان مهيبًا، مروعًا، يعج بأثاث على طراز لويس الخامس عشر ومصابيح ضخمة مزينة بالخرز. فوق رف المستوقد علقت لوحة زيتية كبيرة لرجل مسن بلحية بيضاء وشارب.

"من هذا؟" سألت.

1- أو دورية: أحد أنظمة العمارة الإغريقية.

"السيد فان در زي"، قالت الخادمة.

"لا أظن أني التقيت به يومًا".

"لا يمكنك"، قالت الخادمة. "إنه ميت".

"لابد من أنه كان ثريًا جدًا"، قلت.

ضحكت. "ستكون غنيًا أيضًا لو كنت تملك نصف تلة سيجنال".

"أوه".

نزلت فيلدا فان در زي سلم الدرج الكبير، مكسوة بعباءة المضيفة الشفافة. عامت بطانات حريرية خلفها مثل ملائكة مصاحبة، وغيمة من عطر غريب غلفتني وهي تمد يدها.

"صباح الخير، آرتورو. هلا ذهبنا إلى العمل، أم أنك تود أن ترى بقية المنزل؟"

"لنعمل"، قلت.

أخذت ذراعي. "هذا ما أحبه فيك، أيها الشاب، تفانيك". أرشدتني إلى غرفة غريبة.

"هذا عريني"، قالت.

نظرت من حولي. كان عرينًا بالفعل. كل إنش من الجدران كان يعج بصور فوتوغرافية لنجوم السينما. الناس الجميلون. وسيمون للغاية، مفعمون بابتسامات مفرحة وأسنان لامعة وأيدٍ جميلة وبشرة حلوة. لكنها كانت غرفة حزينة أيضًا، كأنها ضريح، عرض للأحياء والأموات. نظرت فيلدا إليهم بوقار.

"أصدقائي الأحياء"، تنهدت.

أردت أن أسأل عن زوجها، لكن بدا الأمر غير مناسب. تقدمت نحو مكتب بسيط فرنسي مفصل، تعلوه آلة كاتبة.

"مكتبي المفضل"، قالت. "هدية عيد الميلاد من موريس شوفالييه".

"إنه جميل"، قلت.

شدت فيلدا حبل جرس أحمر بجانب العتبة. رن الجرس وظهرت الخادمة. طلبت فيلدا القهوة. ذهبت إلى المكتب وجلست أمام الآلة الكاتبة.

"هل قرأت النص؟" سألت.

"ليس بعد. خططت أن أفعل هذا الصباح".

توجهت نحو الأريكة وجلست.

"هل أخبرك شيئًا ممتعًا جدًا عن هذه الغرفة؟"

"تفضلي أرجوك".

"هنا وقعت أول عقد مع لويس ب. ماير. جلس تمامًا حيث تجلس ووقع الأوراق. حدث هذا منذ عشر سنوات. إنه رجل رائع. ذات يوم سنقيم حفلاً وسيكون في وسعك أن تلتقيه. إذا أعجبته سيكون مستقبلك مؤمّنًا".

"أحب أن ألتقيه". أخرجت النص من جيب معطفي. "لنبدأ".

دخلت الخادمة بصينية القهوة. تحدثت فيلدا وهي تصبها. "شرَّف كثير من المشاهير هذه الغرفة بوجودهم على مدى السنوات. هل تتذكر فيلما بانكي وورود لا روك؟"

وهكذا بدأت. فيلما بانكي، رود لا روك، كلارا بو، ليليان جيش، ماريان ديفيس، جون جيلبرت، كولين موري، كليف بروكي، باستر كيتون، هارولد ليود، ويسلي باري، بيلي دوف، كورين جريفيث، كلير ويندسور. أقلعت قدمًا

عبر غيوم أحلام اليقظة، ترشف القهوة، وتشعل السجائر، تحلم بالسفاسف، تستحضر فتنة بالكذبات الساحرة والعوالم المستحيلة التي صنعتها بنفسها.

جلست أصغي في يأس تام، أفكر في طريقة للهرب، للخروج من هناك، أن أقفز إلى سيارتي وأعود إلى واقع بنكر هيل، لأصرخ، لأثب وأصرخ، لأن أستجديها السكوت، وأخيرًا لأستسلم وأغوص جريحًا على نحو قاتل في كرسي كبير احتضن ذات يوم مؤخرة لويس ب.

لم ننجز شيئًا، لا شيء على الإطلاق، وعندما نعست وأنهكت وتحولت من القهوة إلى المارتيني، لم أعد أتحمل المزيد. كانت عيناها بالكاد مفتوحتين عندما وقفت وأخذت بيدها.

"وداعًا فيلدا. سنحاول غدًا". غادرت.

في اليوم التالي كان كل شيء مشابهًا فيما عدا تغير الشخصيات وكذلك المكان. جلسنا في كشك على مسطح أخضر تحت شجرة فلفل. هذه المرة لم يكن هناك قهوة بل إبريق مارتيني، وصوت فيلدا الطنان النعسان وهي تتحدث عن جين آرثر، جاري كوبر، تيرون باور، إيرول فلين، ليلي داميتا، لوبي فيليز، دولوروس ديل ريو، ميرل أوبيرون، كلود رينز، ليزلي هاورد، باسيل ريثبون، نيجل بروس، سيزار روميرو، جورج آرليس، هنري آرميتا، جورجي لا كافا، بوليت جودار، والتر فاغنر، نورما تالمادج، كونستانس تالمادج، جانيت جاينور، فريدريك مارش، نيلز آستر، نورمان فوستر، آن هاردينج، وكاي فرانسيس.

الفصل الرابع عشر

كان من المفترض أن نلتقي في اليوم التالي، لكنني شعرت إزاءه بالغثيان. كان مثل المعاناة من صداع الخمر، وكل ما رأيته عيناها النديتان في ذلك الوجه الناعم، وكل ما سمعته رجع صوتها الهاذي. عرفت أني لا أستطيع العمل معها أبدًا، وأنها ستقودني إلى الجنون. اتصلت بها حوالي الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي وبالتأكيد، كان الخط مشغولاً. ظل مشغولاً حتى عند الساعة الحادية عشرة وعند الظهر وطوال ما بعد الظهيرة حتى المساء. أخيرًا استسلمت وذهبت إلى الآلة الكاتبة وكتبت لها مكتوبًا:

عزيزتي فيلدا:

لابد من أن أصدقك القول. لن يكون ممكنًا أبدًا أن نعمل معًا كفريق. أنا لا ألقي باللائمة عليك، بل ألوم نفسي. أخطط أن أبدأ بكتابة سيناريو منذ يوم غد. عندما أنتهي سوف أرسله إليك، وحينها بوسعك تحريره وتطويره كما تحبين. آمل أن تلقى هذه الخطة موافقتك.

المخلص لك،

آرتورو بانديني

اتصلت بعد يومين.

"هل أنت واثق بما تفعل آرتورو؟"

"بالتأكيد".

"حسن جدًا. اكتب أنت المسودة الأولى وسأتبعها بالنهائية. اتصل بي إذا واجهتك مشكلة".

"سأفعل".

شرعت أكتب في الحال، لكن كلما تقدمت قل إعجابي. بدأت مسودة أخرى. ثم أخرى. ثم خطرت لي فكرة طازجة تامة. قصة جديدة. ليس المزيد من رعاة البقر ورعاة الغنم، لكنْ شيءٌ أكثر إقناعًا مؤلفٌ من أجزاء من فيلم تذكرته من صباي. تقدم العمل بشكل جيد. تكومت الصفحات. كان مسليًا. ارتفعت حرارتي. كتبت في جلسة واحدة عشرين صفحة.

في اليوم التالي كنت لا أزال أملك ما يكفي من الطاقة للمواصلة. عشرين صفحة أخرى. كتبت تلك الليلة حتى الساعة الواحدة صباحًا خمس عشرة صفحة أخرى. أحببتها. عجبت منها. كم كنت سريعًا! يا لها من فطنة! يا له من حوار! كنت أعمل على شيء مؤثر وعظيم. لا يمكن أن يفشل. رأيت نفسي بطلاً، حماسة ليلية. وواصلت: أصعد الوهاد وأهبط المسيلات، حصان يميل، بندقية سداسية تتوهج، الهنود يتساقطون، الدم في الغبار، صرخات النساء، المباني المحترقة، وعيد الشر، انتصار الخير، انتصار الحب. بانج بانج بانج تشويق مستمر، أعظم قصة ويسترن كتبت على الإطلاق. أخيرًا مخدرًا بالقهوة، ألم في بطني بسبب السجائر، عيناي ملتهبتان، ألم في الظهر، أنهيتها. طويتها فخورًا في مظروف كبير وأرسلتها إلى فيلدا فان در زي ثم استرحت وانتظرت عارفًا أنه من الصعب أن تغير كلمة لأنها كانت تتعامل مع الكمال.

أمضيت الأيام في جادة هوليوود، في مكتبة ستانلي روز، في حانات الجادة، ألعب ألعاب البينبول، وأذهب إلى السينما. ثم لم يعد في وسعي الانتظار مزيدًا من الوقت، واتصلت بفيلدا فان در زي. كان الخط مشغولاً. بعد ساعة كان لا يزال مشغولاً أيضًا. كان طوال النهار مشغولاً. كان مشغولاً في وقت متأخر من الليل. في الصباح لم يعد في وسعي الاحتمال. ركبت سيارتي

البليموث وتوجهت نحو وادي بينديكت. أزَّ المحرك. كان بحاجة إلى تغيير. توقفت عند درب منزل فيلدا وطرقت الباب. كانت الساعة الثانية عشرة. حيتني الخادمة.

"جئت لرؤية فيلدا".

"لا يمكنك"، قالت. "لا تزال نائمة".

"سأنتظر".

راقبتني وأنا أعود إلى السيارة وأجلس خلف المقود. بقيت هناك حتى الساعة الواحدة، الثانية، الثالثة، وعند الرابعة انطلقت مبتعدًا. قدت السيارة إلى الفندق في جادة صانسيت. ذهبت إلى الهاتف العمومي في البهو واتصلت برقم فيلدا. حتى وأنا واقف هناك كنت أعرف أنه سيحدث، وكنت محقًا. كان الخط مشغولاً. كنت أرتعش عندما تعثرت نحو البيت. قطعت مسافة شارعين قبل أن أدرك أني لم أكن أركب سيارتي.

كان المال أفضل ما في التعاون مع فيلدا. بعد خمسة عشر أسبوعًا، شيك قدره ثلاثمئة دولار عن كل أسبوع، اتصلت. أنهت النص. سترسله بالبريد المضمون. لابد من أن يصل في اليوم التالي. كانت فخورة جدًا بعملها. عرفت أني سأحبه، لأننا أنجزنا تحفة.

"هل غيرت فيه كثيرًا؟" سألت.

"هنا وهناك. تغييرات خفيفة. لكن لا يزال جوهر نسختك، مغزاها، موجودًا".

"أنا مسرور فيلدا. كنت قلقًا بصراحة".

"ستسر جدًا آرتورو. لم يكن علي أن أفعل سوى القليل. بالكاد أستحق أن يرد اسمي".

في اليوم التالي جلست على شرفة منزل إدجنتون وانتظرت ساعي البريد. عند الظهر توقفت شاحنة البريد ووضع السائق المغلف الكبير بين يدي. وقعت على الإيصال وجلست على درجة الشرفة وفتحت المخطوط.

كان مكتوبًا على صفحة العنوان المدينة الآثمة، سيناريو لفيلدا فان در زي وآرتورو بانديني، عن قصة هاري براوني. كنت وصلت إلى منتصف الصفحة الأولى عندما بدأ شعري يقف. كنت مجبرًا وسط الصفحة الثانية على وضع النص جانبًا وأتشبث بدرابزين الشرفة. كنت ألهث وشعرت بألم غريب في ساقي وعبر معدتي. ترنحت على قدمي ودخلت إلى المطبخ وشربت كوب ماء. كان إدجنتون جالسًا إلى الطاولة يتناول الفطور. رأى وجهي ونهض.

"يا إلهي، ما الخطب؟"

لم أتمكن من الكلام. فقط أشرت باتجاه المخطوط. مشى إدجنتون نحو الباب الرئيس ونظر من حوله.

"ما الخطب؟" قال "من هناك؟"

خرجت من المنزل نحو الشرفة وأشرت إلى المخطوط. التقطه.

"ما هذا؟" نظر في صفحة العنوان. "ما خطبه؟"

"اقرأه".

أخذه إلى أرجوحة الشرفة وجلس.

"لقد كنت"، قلت. "لم أكتبه. اسمي عليه، لكني لم أكتبه".

بدأ يقرأ. فجأة ضحك ضحكة قصيرة نابحة. "إنه مضحك"، قال. "إنه نص مضحك كثيرًا".

"هل تعني أنه كوميدي؟"

"هذا هو المضحك. أنه ليس كوميديًا". عاد إلى النص وقرأ بصمت عشر صفحات أخرى ثم طوى المخطوط بتأن ونظر إلي.

"ألا يزال مضحكًا؟"

لف النص ورماه في رقعة من اللبلاب خلف الشرفة.

"إنه شنيع"، قال.

استعدت النص من حوض اللبلاب. كان قد قرأ نسختي منذ أكثر من خمسة عشر أسبوع. وقد أحبها وقدَّرها.

"ماذا عليَّ أنِ أفعل؟" سألت.

"ما رأيك بالعودة إلى كولورادو لتتعلم بناء الآجر مع والدك؟"

"هذا ليس حلاً".

"الحل الوحيد هو أن تزيل اسمك من على هذا النص. تبرأ منه. لا تحسبه عليك".

"ربما يمكنني إنقاذه".

"تنقذه مم؟ إنه ميت يا رجل. لقد قتل. اتصل بوكيلك وأخبره أن يمحو اسمك. إما ذلك أو أخرج من المدينة". نهض وعاد إلى المطبخ. فتحت المخطوط وبدأت أقرأ ثانية. ما قرأته كان التالي:

تتدحرج مركبة سفر عبر سهل ياومينج تتبعها جماعة من الهنود. أوقفت المركبة. احتشد الهنود فوقها. مسافران: الكاهن عزرا درو وابنته بريسيلا. جرجر القائد الهندي بريسيلا إلى الخارج، وقذفها على حصانه. بريسيلا تكافح. امتطى الزعيم، انطلق بها. يتبعه الهنود.

قرية هندية. يمتطي الزعيم ومعه بريسيلا، يقحمها في خيمة، ثم يدخل.

الزعيم الهندي هو ماجوا، عدو الرجل الأبيض. يحتجز الفتاة، ويعاملها بقسوة، يقبلها وهي تكافح.

يأتي الحشد إلى أعلى التلة، يقودهم العمدة لاوسن. يترجل عن مركوبه، يسمع الفتاة تصرخ، يدخل الخيمة، يتصارع مع ماجوا، يوقعه أرضًا، يساعد الفتاة على الخروج، يضعها على سرج حصانه يصعد وينطلق. يتبعه الحشد.

المدينة الآثمة. يصل الحشد، يضع العمدة بريسيلا أرضًا. يأتي الحشد بالكاهن درو. تهرع بريسيلا نحو ذراعيه. يجتمع أهل البلدة. يقود العمدة لاوسن بريسيلا إلى فندق المدينة الآثمة.

اجتمع أهل البلدة تلك الليلة في الفندق. يخرج العمدة مع بريسيلا والكاهن درو. أهل البلدة يناشدونهما البقاء. أحرق الهنود الأعداء أتباع الزعيم ماجوا الكنيسة المحلية مؤخرًا. حث الناس الكاهن درو على إعادة بناء الكنيسة. يعد بأن يفكر في الأمر. يعزفون على البانجو، الكاهن درو يرافق ابنته في غناء ترنيمة "أحبك يسوع" وتلقى تصفيقًا عظيمًا. ممسكة بدف صغير، تنتقل بريسيلا بين أهل البلدة الذين يلقون بالنقود فيه. يصعد الكاهن درو شرفة الفندق ويلقي خطبة. يعد هو وابنته بالبقاء وبترميم كنيسة المدينة الآثمة. يذهب أهل البلدة إلى حانة كبيرة. مرة أخرى يعزف الكاهن على البانجو وبريسليا تغني ترنيمة "رحب بي أيها الرب". ثانية تمرر الدف وتجمع مبلغًا كبيرًا من المال.

ترمم الكنيسة. يساعد أهل البلدة في ترميمها، يحملون ألواح الخشب ومواد البناء. يمتطي عمدة البلدة سرجه ويضع بريسيلا عليه. ينطلقان. في أيكة صنوبر جميلة يعانق العمدة بريسيلا ويقبلان أحدهما الآخر.

مساء. حانة المدينة الآثمة. بريسيلا تغني ترنيمة "الرب راعيَّ"، في حين زبائن الحانة يستمعون ويعجبون بالمرأة الشابة الجميلة. تمرر الدف الصغير.

يمسك بها ثمل في الحانة محاولاً تقبيلها. يتدخل العمدة لاوسن ويتطور الشجار. يرمي لاوسن المتدخل أرضًا. تنظر بريسيلا إلى العمدة بامتنان.

على منحدر التلة المطل على البلدة يجلس المشؤوم ماجوا على حصانه مراقبًا. يترجل وينسل خلسة نحو نافذة الحانة، نحو بريسيلا وهي تلقي خطبة صغيرة على زبائن الحانة. تريد من أهل البلدة أن يشكلوا فرقة إنشاد في الكنيسة حيث يمكن أن تغنى الترانيم وتقدم الأعطيات لصالح الكنيسة الجديدة. يوافق أهل البلدة ويصفقون. خارجًا عند النافذة يبتسم الشرير ماجوا متكلفًا وهو يصغي.

حل التغيير على المدينة الآثمة. لم يعد هناك مشروب في حانة البلدة. ولم يعد هناك مقامرة. يغني جمع من النساء بقيادة بريسيلا الترانيم الدينية. العمل على إيرادات الكنيسة. اكتملت أعمال ترميم الكنيسة ذات يوم، واجتمع أهل البلدة لإقامة القداس الأول. من الأعلى، ماجوا يراقب ما يحدث تحت ويبتعد.

مساء. نساء المدينة الآثمة يحضرن الشواء خارج الكنيسة. ساحة الرقص على قدم وساق، يقودها الكاهن درو وآلته الموسيقية البانجو. بريسيلا تدور مع الموسيقى، يشاركها العمدة. في هذه الأثناء في القرية الهندية يستجمع ماجوا قواه. يمتطي الهنود أحصنتهم بأجساد مطلية ويبتعد بهم ماجوا.

ساحة رقص. يقود العمدة بريسيلا نحو الغابة. ترفع وجهها لقبلته. يطلب منها الزواج. وتوافق. فجأة صوت عدو الحوافر والصيحات الهندية. عند أسفل التلة جاء ماجوا وأبناء جلدته المتعطشون للدماء. يقودون بشراسة، يطوقون الكنيسة وأهل البلدة بصيحاتهم المروعة والحوافر القاصفة. يزعق أهل البلدة منسحبين إلى الكنيسة بينما يواصل الهنود إطلاق النار من بنادقهم. يهرع العمدة وبريسيلا إلى الكنيسة الجديدة ليكونا في مأمن. طلقة بعد طلقة يحكم الهنود قبضتهم حول الكنيسة. إطلاق نار. صرخات الجرحى. الهنود

يرمون المشاعل على سطح الكنيسة. أهل البلدة يصوبون البنادق من نوافذ الكنيسة. المعركة حامية. النساء يحشون البنادق. بريسيلا تحشو بندقية والدها. عند تلك اللحظة تطلق النار. تقتل بريسيلا هنديًا أصاب والدها. ثم تلتفت وتضم والدها الجريح بين ذراعيها وتبكي.

في هذه الأثناء حط الغادر ماجوا رحاله وتسلل نحو باب الكنيسة. يدخل دون أن يراه أحد وينقض على بريسيليا، يضع يدًا على فمها، ويجرها إلى الخارج. يرميها على ظهر حصانه، يمتطي الحصان خلفها وينطلق عندما يظهر العمدة في العتبة. يسدد بنية قتله، يطلق ماجوا النار على العمدة وتصيبه الرصاصة في كتفه. يترنح لاوسن لكنه لا يقع. وبدلاً من ذلك يميل نحو ماجوا، الذي ينطلق مع بريسيليا التي تناضل للإفلات منه.

جريح لكن مقدام، يتلمس العمدة طريقه نحو حصانه، يمتطيه، وينطلق في الأثر. فوق التلة وواد صغير يتبع الهندي الهارب والفتاة. يصلون إلى جدول في سفح التلال ويتوقفون. نازفًا وضعيفًا، يمتطي لاوسن ثم يسقط على الأرض. يترجل ماجوا بحماس ممسكًا بفأس حرب متوعدًا. معركة ضارية، يتدحرج الرجلان ويلتفان، تراقب بريسيلا مرتعبة. يقعان في جدول. يقفز ماجوا على العمدة الضعيف ويحاول إغراقه، لكن العمدة يحرر نفسه.

ضعيف جدًا فلا يمكنه مواصلة المقاومة، ينهار العمدة في المياه. بصرخة انتصار يرفع ماجوا الفأس ليضرب. فجأة تكسر فرقعة بندقية الصمت. يسقط ماجوا في الماء. تترجل بريسيلا، وبندقية تصدر دخانًا بين يديها، وتهرع إلى العمدة. تجره خارج الجدول. ضعيف لكنه جسور، يرمي العمدة ذراعيه حولها. ينهضان ويترنحان مبتعدين. في الماء يتمدد ماجوا ميتًا.

في كنيسة المدينة الآثمة يستمر الحصار. يكسب البيض السيطرة ببطء. يشنون هجومًا مضادًا. معركة بالأيدي. ينسحب الكثير من الهنود. يأسر أهل البلدة الآخرين. تم اقتياد العديد من الهمج نحو سجن المدينة. من

البعيد ترى بريسيلا والعمدة لاوسن قادمين. يربطان إلى حصانهما جثة ماجوا. بهجة عظيمة من أهل البلدة. تهرع بريسيلا بين ذراعي والدها.

خاتمة. صباح أحد مشرق. يصدح غناء من الكنيسة. في الداخل تقود بريسيلا الكورس في غناء ترنيمة "أوه يا يسوع الرقيق". الكنيسة تعج بأهل البلدة الذين يستمعون بوقار. في المقصورات الخلفية، في عزلة عن الآخرين، الكثير من الهنود الأسرى النادمون رؤوسهم محنية. يأتي العمدة إلى جانب بريسيليا. تنظر إليه بهيام. إعتام.

وذلك كان، العمل القذر برمته. مخطوطتي، دون سطر من شغلي عليها، في الواقع قصة مختلفة تمامًا، يستحيل عليّ أن أحوكها. ضحكت. كانت مزحة. شخص ما كان يتلاعب. كان مستحيلاً. دخلت إلى المنزل وجلست أدخن السجائر، فجأة انتبهت لانهمار المطر، صوته الحلو على السطح القرميدي، رائحته الحلوة تأتي من خلال الباب الرئيس. لا شك في ذلك، كان إدجنتون محقًا. حلي الوحيد كان في محو اسمي من على العنوان. التقطت الهاتف واتصلت بسيريل كورن.

"نعم؟" صاح.

"مرحبا كورن. هذا أنا. هل قرأت القصة؟"

"أحببتها".

"أنت مجنون".

"إنها ويسترن عظيمة".

"أزل اسمي من عليها".

"ماذا؟"

"امحُ اسمي عن هذه الفظاعة. هل سمعتني؟ لا أريد أن أشارك فيها".

ران صمت طويل قبل أن يتحدث كورن ثانية. ثم قال:

"افعل ما تشاء يا ولد. هذه أخبار جيدة لفيلدا. سيظهر اسمها وحده الآن في الفيلم".

"هنيئًا لها". وأغلقت الخط.

هطل المطر مدرارًا، يسوط أوراق أشجار الأوكاليبتوس، يحفر أنهارًا صغيرة عبر الباحة وفي المزراب. شربت كأسًا من النبيذ. خرج إدجنتون من المطبخ. سمع محادثتي مع كورن.

"لقد فعلت الصواب،" قال. "كان دفاعًا عن النفس. لم يكن لديك الخيار. لو أصغيت إلي لم يكن ليحصل هذا".

"ماذا تعني؟"

"كان عليك أن تنضم للنقابة. كنت أخبرك بهذا منذ ثلاثة شهور".

هبت الريح الممطرة الباردة من خلال الباب الرئيس، ونشرت البرد في الغرفة. ذهب إدجنتون إلى الموقد وأشعل فوهات الوقود. أخرج كيس تبغ من جيبه.

"هاك"، قال، ورماه لي.

كانت ماريجوانا. احتوى الكيس على أوراق سجائر. دخنت الماريجوانا مرة واحدة من قبل في بولدر، وجعلتني مريضًا. كانت مناسبة كي أمرض ثانية. لففت سيجارة. جلسنا ينظر أحدنا للآخر، نسحب الحشيش إلى رئتينا. ضحك إدجنتون وضحكت أيضًا.

"أنت ضفدع إنجليزي سيء"، قلت.

أومأ موافقًا. "وأنت يا سيدي كلب إيطالي بائس مقرف".

تناهينا إلى الصمت ندخن الحشيش. التقطت المخطوط.

"لنفعل به شيئًا"، قلت.

"لنحرقه".

أخذته إلى الموقد ورميته في اللهب. كان مفعول الماريجوانا يسري. خلعت قميصي.

"لنكن هنودًا"، قلت. "لنحرقها على العمود".

"عظيم"، قال إدجنتون وهو يخلع قميصه.

"لنخلع سراويلنا"، قلت. ضحكنا ورفسنا سراويلنا. خلال لحظة كنا عراة، نرقص في حلقة، ونؤدي ما ظننا أنها صرخات هندية. من الغيوم جاء قصف الرعد. ضحكنا وتدحرجنا على الأرض. شرب إدجنتون البيرة. شربت كأسًا من النبيذ. كان الهطل يصم الآذان. هرعت إلى الخارج وأمسكنا يدًا بيد ورقصنا في حلقات ضاحكين. دخلت إلى البيت، رشفت من نبيذي وخرجت ثانية. هرع إدجنتون إلى الداخل، وتناول جرعة من البيرة، ولحق بي تحت المطر. تمددنا على العشب، تدحرجنا في المطر، صرخنا على الرعد. ثقب صوت امرأة العاصفة. كان صادرًا من بيت الجيران.

"عار عليك، فرانك إدجنتون"، صرخت. "ارتدِ ثيابك قبل أن أتصل بالشرطة".

نهض فرانك وأدار مؤخرته العارية لها:

"هذه من أجلك مارتا!"

دخلنا إلى المنزل. وقفنا أمام الموقد، نقطر ماء، راقبنا شرارات مخطوط فيلدا تتراقص صاعدة نحو المدخنة. تبادلنا النظرات وابتسمنا. ثم أتممنا الشعيرة المجنونة برمتها بذروة مناسبة. تبولنا على النار.

في هذا الوقت حدث أمر مستغرب. نظرت إلى شعر إدجنتون المبلل وجسده المشبع بالمطر ولم يعجبني. لم يعجبني على الإطلاق. كان هناك شيء فاحش في عريه، والمخطوط المحترق، والأرض التي بللها المطر، وأجسادنا المرتعشة بردًا، والابتسامة الوقحة على شفاه إدجنتون، نفرت منه، ولمته على كل شيء. في النهاية ألم يكن هو من أرسلني إلى سيريل كورن، وألم يكن سيريل كورن من جمعني بفيلدا فان در زي، وألم يكن إدجنتون من سخر وهزئ طوال الأسابيع التي كنت أكتب فيها المخطوط؟ لم يعد هذا الرجل يعجبني. لقد أصابني بالغثيان. أفكار مشابهة لابد من أنها غلت في دماغه لأني لحظت الحدة العدائية في نظرته. لم نتحدث وقفنا هناك يكره أحدنا الآخر كنا على وشك القتال التقطت ثيابي ودخلت إلى غرفة النوم وأغلقت الباب بعنف.

الفصل الخامس عشر

بعد ذلك حلت قطيعة. تكاسلت أثناء عمله في الأستوديو، أشرب النبيذ وأدير المذياع. توالى سقوط المطر مع توالي الأيام. جلست إلى مكتبي في غرفة النوم وحاولت الكتابة. لم أكتب شيئًا. كان بسبب المنزل، منزل إدجنتون. كان عليَّ الابتعاد عنه. وكنت أتظاهر حين عودته من الأستوديو بالانشغال بالضرب على الآلة الكاتبة إلى مكتبي. جلس وحيدًا لفترة قصيرة، ثم غادر مجددًا. ذات يوم وجدت نسخة قديمة من النيويوركر بين كومة مجلات. كانت تضم قصة كتبها إدجنتون. مزقتها. هممت بالخروج، ركبت سيارتي وانطلقت تحت المطر. كانت العاصفة تهب. والشوارع كالأنهار.

تبقبق أغطية البواليع من مصارف المياه الكبيرة. تساقطت الأشجار. كانت ويلشاير متراسًا من أكياس الرمل. الشوارع مهجورة. قدت إلى هوليوود وجلست في حانة في ويلكوكس أشرب النبيذ وألعب ألعاب البينبول. كنت أركن سيارتي أحيانًا عند موسو فرانك وأتوجه ثملاً تحت المطر نحو المطعم. لا أعرف أحدًا. أتناول الطعام بمفردي وأشعر بكرهي للبلدة. ذهبت إلى مكتبة ستانلي روز المجاورة. لا أحد يعرفني. تسكعت في الأرجاء مثل طائر ينشد الفتات. اشتقت للسيدة براونيل وآبي ماركس ودو مونت. حطمت ذكرياتي عن جنيفر لافليس قلبي.

معرفتي بهؤلاء القلة جعلتني أشعر كما لو أني أعرف آلاف الأشخاص في المدينة. قدت إلى بنكر هيل وركنت السيارة أمام الفندق، لكني لم أتمكن من حمل نفسي على الدخول. فجأة حلمت حلمًا جميلاً برواية. كانت عني

وعن هيلين براونيل. تمكنت من تذوقها. تمكنت من معانقتها. انصرفت عني الشفقة الذاتية فجأة. كان هناك حياة مع ذلك، كان هناك آلة كاتبة وورق وعيون لأراها، وأفكار أبقيها حية. جلست في سيارتي عند قمة بنكر هيل تحت المطر ولفني الحلم، وعرفت ما سأفعل. سأذهب إلى الجزيرة الطرفية وأجد لنفسي كوخ صياد سمك على الشاطئ الرملي وأجلس هناك وأكتب رواية عن هيلين براونيل وعني. قد أمضي شهورًا في ذلك الكوخ، أراكم الصفحات وأنا أدخن غليوني المصنوع من المرشوم[1] وأصبح كاتبًا مرة أخرى في العالم.

تمنيت أن أجمع حاجياتي وأخرج من هناك قبل أن يعود إدجنتون، لكن بينما كنت أصعد إلى كوخه رأيت سيارته في مدخل البيت. خرجت وهرعت تحت المطر إلى المنزل. فرانك ممدد على الأريكة يقرأ كتابًا. قال "مرحبًا". مررت به وأنا ذاهب إلى غرفتي وبدأت أحزم حاجياتي. بعد حين نهض ووقف في باب غرفة النوم يمسك مجلة في يده.

"آتيك بأنباء جيدة من فرح عظيم". ابتسم، مناولاً إياي المجلة. كانت نسخة من Daily Variety. فتحتها ورأيت علامات بالقلم الأحمر حول خبر الصفحة الأولى يقول:

فيلدا فان در زي، التي أعدت نص فيلم المدينة الآثمة لصالح شركة ليبرتي للأفلام، سوف تتحول أيضًا إلى فيلم، حسبما قال المنتج جاك آرثر. سوف ينتهي اختيار الممثلين هذا الأسبوع وسوف يبدأ التصوير في أريزونا.

كنت مصدومًا، لكني أخفيت صدمتي عن إدجنتون، وناولته المجلة. "هذا يجعلك فرحًا جدًا، أليس كذلك؟" قلت. ابتسم وهز كتفيه.

1- نوع من المعادن.

"C'est la vie" [1]

عدت إلى حزم حاجياتي، ملأت حقيبة وحملتها إلى السيارة، حيث كانت بقية حاجياتي-الآلة الكاتبة، الكتب، الثياب-مكومة في المقعد الخلفي. الآن مع كوني جاهزًا للمغادرة نهائيًا كان هناك مسألة واحدة لم تحل. وقفت بجانب السيارة واستجمعت قواي. ربما لن ألتقي بإدجنتون ثانية البتة. كيف يمكنني أن أترك لديه ذكرى هذا الرحيل في هذا اليوم الماطر؟ أخيرًا سويت المسألة وعدت إلى المنزل. كان على الأريكة.

"أنا مغادر الآن"، قلت.

نهض ومد يده قائلاً: "حظًا سعيدًا يا داجو".[2]

ضربته على وجهه وأوقعته على الأريكة. جلس هناك يعتني برعاف أنفه. عدت إلى السيارة وانطلقت بها. لم يكن علي أن أضرب إدجنتون. كان مضيافًا وودودًا وكريمًا ولطيفًا. لكني لم أستطع احتمال غروره. كان ناجحًا أكثر مما ينبغي بالنسبة إلي. لقد استحق ما حدث له. لم أكن نادمًا. تلك هي الحياة. كنت آسفًا لرعافه، لكنه استحقه. أما بالنسبة إلى فيلدا فان در زي فعليها اللعنة. من هو المخرج التالي؟ كانت البلدة تعج بهم.

1- إنها الحياة: بالفرنسية في الأصل.

2- وهو تعبير عنصري ينادى به من يكون إيطالي أو إسباني أو برتغالي المولد أو الأصل.

الفصل السادس عشر

قدت إلى جادة آفالون ثم نحو ويلمنجتون جنوبًا. كان الغروب قد حل تقريبًا عند عبوري الجسر فوق حاجز رملي كبير يعرف بالجزيرة الطرفية. كان المطر قد غسل الرمل عن الطريق وقدت على رصيف إلى مستوطنة الصيد التي تبعد مسافة ميل تقريبًا عن مصنع التعليب. كان هناك ستة أكواخ ريفية، مصطفة مقابل قناة الماء بطول مئة ياردة على امتداد الشاطئ. لم يبد أيٌّ من الأكواخ مشغولاً. قدت ببطء بمحاذاتها. كان هناك لافتة على شرفة كل واحد منها تقول "للإيجار". ثم لحظت ضوءًا في آخر منزل. كان المنزل مشابهًا تمامًا لبقية المنازل، أخضر داكن اللون ومبللاً بالمطر. ظهر الضوء من خلال الباب الرئيس المفتوح. ركنت متوقفًا وركضت تحت المطر نحو الشرفة.

خلال عشر دقائق استأجرت أحد الأكواخ وانتقلت إليه. كان الكوخ الأوسط، يضم غرفة نوم، وغرفة جلوس، ومطبخًا وحمامًا. مقابل خمسة وعشرين دولارًا في الشهر. أجريت حسبة سريعة وأدركت أني أملك مالاً يكفي للعيش هناك طوال عشر سنوات.

كان المكان جنة، المحيط الهادئ الجنوبي، بورا بورا. أمكنني سماع صوت البحر. جاء هامسًا، يقول شششش، لأن حركة المد والجزر كانت منخفضة دومًا، الجزيرة محمية بكاسر الموج. كانت الليالي بديعة. تمددت على سريري الصغير وشعرت بذكرى فيلدا فان در زي تتسرب مني. تلاشت خلال بضعة أيام. استمعت إلى البحر وشعرت بشفاء قلبي. كنت أسمع أحيانًا نباح الفقمة. وقفت في الباب وراقبتها في المياه الضحلة، ثلاث أو أربع فقمات

كبيرة تلعب في الزبد الناعم، تنبح كما لو أنها تضحك. كانت المدينة بعيدة. لم يكن عندي فكرة أكتب عنها. كان عقلي قاحلاً كالشاطئ الطويل. كنت روبنسون كروزو، تائهًا في عالم بعيد، في سلام، أتنفس هواءً نظيفًا، مالحًا، سارًا.

عند أفول النهار مشيت حافيًا في الماء، في الرمل الرطب، مسافة ميل نحو موقع مصنع التعليب، المزدحم بالعمال، رجالاً ونساء، يفرغون مراكب الصيد، يوضبون ويعلبون السمك في مبانٍ كبيرة مصنوعة من الحديد المضلع. كان معظمهم من اليابانيين والمكسيكيين من سان بيدرو. كان هناك مطعمان. كان الطعام جيدًا ورخيصًا. مشيت أحيانًا حتى نهاية الرصيف، نحو مرسى المراكب، حيث تقلع القوارب عبر القناة إلى سان بيدرو. كان أجر الرحلة خمسة وعشرين سنتًا. كنت أشعر بأني مليونير كلما نقرت الربع وأبحرت نحو بيدرو. استأجرت دراجة وتجولت في تلال فيرديس بالوس. وجدت المكتبة العامة وحملت الكتب.

في كوخي أوقدت نارًا في فرن الحطب وجلست في الدفء أقرأ دوستوفسكي وفلوبير وديكنز وكل هؤلاء المشاهير. لم ينقصني شيء. كانت حياتي صلاة، صلاة شكر. كانت وحدتي تغنيني. وجدت نفسي محتملاً، مقبولاً، بل صالحًا. تساءلت أحيانًا عما حل بالكاتب الذي جاء إلى هنا. هلا كتبت شيئًا وغادرت المكان؟ لمست آلتي الكاتبة وتأملت حركة المفاتيح. كانت حياة أخرى. لم أكن هنا من قبل. لن أغادر أبدًا.

كانت مؤجرتي يابانية. حبلى. تمشي مشية نبيلة مؤلفة من خطوات صغيرة هادئة جدًا، شعرها الأسود مضفور. تعلمت منها الانحناء. كنا ننحني دومًا. مشينا أحيانًا إلى الشاطئ أيضًا. توقفنا، فردنا أيدينا وانحنينا. ثم مضت في طريقها ومضيت في طريقي. ذات يوم وجدت مركبًا ذا مجاذيف يتخبط على طول الشاطئ. ركبته وجذفت مبتعدًا، على نحو هزيل، لأني لم أستطع إدارة

المجذافين. لكني تعلمت الطريقة، سحبت الزورق عبر القناة نحو الصخور على ضفة سان بيدرو. اشتريت عدة صيد وطعومًا، وجذفت مسافة مئة ياردة خلف منزلي واصطدت أسماك كوربينا وماكيريل، ووهيلبوت. جلبتها إلى البيت وطهوتها وكانت فظيعة، رميتها على الرمل. وراقبت النوارس تنقض عليها وتحملها بعيدًا. قلت ذات يوم، لابد من أن أكتب شيئًا. كتبت رسالة إلى أمي، لكني لم أتمكن من تـأريخ الرسالة. لم أكن أملك ذاكرة للزمن. ذهبت لأرى السيدة اليابانية وسألتها عن تاريخ الشهر.

"الرابع من كانون الثاني"، قالت.

ابتسمت. مرت ثلاثة أشهر على وجودي هناك وكان كل ظني أنها لا تتجاوز أسبوعين.

الفصل السابع عشر

ذات أصيل وأنا أغفو، سمعت صوت سيارة في الخارج. ذهبت إلى الباب وشاهدت سيارة سياحية حمراء طويلة من نوع مارمن تتوقف عند البيت المجاور. كانت توجد شارة ملكية مطلية على غطاء المحرك-تاج بأسود جاثمة باللونين الأحمر والذهبي. تحتها كان مكتوبًا: دوق سردينيا. أطفأ سائق السيارة المحرك وترجل. كان قصيرًا وضخمًا، شعره أسود قصير. كان مفتول العضلات حتى أنها بدت مصنوعة من المطاط، ذراعاه مثل أنبوبي مجرور أحمر، ساقاه ثخينتان كثيرًا ويفصل بينهما فراغ. رآني وابتسم.

"كيف حالك؟" سأل.

"بخير، بخير. كيف حالك؟"

"ممتاز. أنت تعيش هنا؟"

"نعم".

"نحن جيران". تقدم نحوي وصافحني. أومأت إلى سيارته المارمن.

"دوق سردينيا، ماذا يعني هذا؟"

"أنا ابن أمير سردينيا. وبطل العالم أيضًا".

"أنت ربّاع؟"

"راسلر. بطل العالم. أتيت إلى هنا لأتدرب".

انتقل إلى عربة معقودة إلى مؤخرة السيارة. كانت عربة كبيرة بعجلتين لها

مكابح هائلة. كان سرير العربة محشوًا بحصر النادي الرياضي، تجهيزات رفع الأثقال، ومعدات رياضية. بدأ ينزل حمولة العربة.

"من أنت؟" سأل.

أخبرته.

"إيطالي؟"

"بالتأكيد".

ابتسم. "هذا جيد".

راقبته وهو ينزل حمولة العربة لفترة. ثم دخلت. مرت أسابيع منذ أن جلست أمام الآلة الكاتبة آخر مرة. بدأت أكتب رسالة إلى أمي. بعد حين شعرت أن عينين حادتين تثقبان نقرة عنقي. التفت وكان الدوق واقفًا في العتبة يراقبني.

"ادخل"، قلت.

دخل وعاين الغرفة بعناية، الجدران، المغسلة، وأخيرًا الآلة الكاتبة.

"اكتب المزيد"، قال مومئًا. "لا تتوقف". جلس أمامي ونقرت الرسالة.

"ماذا تكتب؟" سأل.

"قصص، أفلام، وأحيانًا الشعر".

"هل تجني مالاً؟"

ضحكت. "بطبيعة الحال، الكثير من المال".

ابتسم ابتسامة عريضة مرتابًا ونهض. "أنا ذاهب الآن. حان وقت التدريب".

بعد نصف ساعة سمعت صوت قرقعة وطقطقة تصدر عن عجلات

العربة عندما أوقف دوق سردينيا العربة الفارغة على الشاطئ. كان يرتدي ثياب المصارعة حافي القدمين، يربط نفسه إلى لسان العربة برباط حول خصره ورباط آخر من جبهته حتى مقدمة العربة. سحب العربة دون عناء، العجلات الكبيرة تقرقع في الرمل الناعم. بعد أن سار بضع ياردات نتر رفشًا من العربة وبدأ يملأ العربة بالرمل. خرجت وراقبته. كان العرق يتقطر من ظهره ومن عنقه. لقد تدرب بنشاط.

"ماذا تفعل؟" سألت.

"أتمرن"، قال لاهثاً، مواصلاً العمل بالرفش. لم يمض وقت طويل حتى امتلأت العربة. رمى الرفش فوق الحمولة، وضبط العدة حول خصره، ثبت الرباط حول جبهته، نعر بقوة وبدأ يجر. حفرت العجلات في الرمل، لكنها لم تتقدم. ناضل، قدماه تنهاران، سقط، ناضل وحاول ثانية. أشفقت عليه. قفزت لمساعدته، وضعت كتفي على ظهر العربة. بدأت تتحرك. التفت الدوق مصدومًا ورآني. أمسكني حانقًا من تحت إبطي ورماني على الرمل. ارتميت على ظهري مرتطمًا ارتطامًا قطع أنفاسي.

"لا"، قال، هازًا قبضته. "اذهب. أنا أتدرب بمفردي".

جلست هناك ألهث، أراقبه وهو منهمك بمعداته ويحاول ثانية. دوق سردينيا! لابد من أنه مجنون. أدرت ظهري ودخلت المنزل. خرجت بعد ساعة إلى الشرفة ورأيته بعيدًا على الشاطئ. بدا بالكاد يتحرك، مثل سلحفاة بعيدة. مرت ساعتان قبل أن يجر العربة إلى منزله. كان جسده مغسولاً بالعرق. علق الرمل بالعرق، وبدا متجمدًا، وفي غاية التعب. راقبته يهرول نحو حافة المياه، ثم يرمي نفسه في الأعماق. لعب في الماء مثل سمكة قصيرة وبدينة. كانت الظلمة قد حلت عندما جر نفسه وعاد إلى شرفته. راقبته وهو يجفف نفسه.

سأل: "هل تحب السباجيتي؟"

"نعم".

"أنا أطهو".

سمع في اليوم التالي صوت آلتي الكاتبة ودخل مجددًا. جلس هناك يراقبني وأنا أجلجل بالمفاتيح.

"ماذا تكتب الآن؟"

"رسالة".

"هل تكتب الشعر؟"

"دومًا".

"كم تريد مقابل القصيدة؟"

نظرت إليه. لم أحبه كثيرًا حقًا. لقد عاملني بسوء في اليوم السابق. وكانت هناك هذه الابتسامة الوقحة، ولقبه السخيف. كان أحمق وسوف أستعمل هذا ضده.

"عشرة دولارات" قلت. "عشرة دولارات مقابل عشرة أبيات. عم تريد أن أكتب لك؟"

"لدي امرأة في لومبوك. تحب الشعر".

"حب؟" قلت.

"نعم".

استدرت نحو الآلة الكاتبة، وتحولت إلى مزاج شعري، وبدأت أنقر:

أوه يا خليل هيبريديس الجديدة

تضرع لي كي لا أسخر بثقتك.

الحب مقطع من قصيدة غنائية وسط إزهار السماوات الضائعة.

هات لي سراء وضراء الأحلام المبددة.

قلبي يتشهى سنوات القرن الأخيرة،

رؤيا الأيام المحاصرة.

لا أريد، يا حب! انظر إلى المعاقل!

اهجر النذل، امنح الرحمة للحب فقط،

وعندما يكون السخاء مشبعًا بالتعويض

صدِّق ما في قلبي.

نظفت حنجرتي وقرأتها للدوق.

"إنها جميلة"، قال. "آخذها. أعطني قلمًا".

ناولته قلمًا. فرد صفحة الشعر ووقع تحت السطر الأخير وكتب: "ماريو، دوق سردينيا".

"هل لديك مظروف؟" سأل.

أخذت واحدًا من المكتب ووضعته في الآلة الكاتبة. "يرسل إلى جيني بالادينو، 121 جادة سيليري لومبوك".

طبعته وذهب.

عند العشاء عاد بسلطانية سباجيتي بيضاء مطهية. لففت لقمة من الباستا بشوكة ووضعتها في فمي. كانت رهيبة-صلصة الثوم، البصل، والفليفلة

الحادة. ببساطة لن تبلع. وثبت نحو زجاجة النبيذ.

ضحك الدوق.

"تجعلك قويًا"، قال. "كن رجلاً".

لكني لم أستطع أكلها. أخذ الطبق مني وأكل على نحو حثيث، حتى آخر خصلة بيضاء. سكبت لنا كأسين من النبيذ وأشعلت سيجارة.

"ما رأيك بالمزيد من الشعر؟"

هز كتفيه. "واحدة أخرى، ربما".

التفت إلى آلتي الكاتبة وكتبت بيسر، عشرة أسطر. راقب الدوق بأذرع مفتوحة.

"هل تود سماعها؟" سألت.

"بالتأكيد، أنا أسمع".

أقرأ:

أوه أيتها العربات في الليل تعبرين بالبحر الحزين،

طيور صامتة تمتطي عجلاتك المنقوعة بالملح.

الغم ينزل بالغيوم إلى الأرض،

لتفتش عن آثار العجلات.

النوارس تزعق، السمك يقفز، ويظهر القمر.

أين الأطفال؟

ما الذي حل بالأطفال؟

حبي بعيد، والأطفال رحلوا.

مركب قاتم يمر في الأفق.

ما الذي حدث هنا؟

أمسك الدوق بالقصيدة من يدي وجعد شفتيه مرتابًا.

"ألم تحبها؟" سألت.

"أعطيك سبعة دولارات".

انتزعت القصيدة من يده. "لا أوافق. إنها قصيدة جيدة. واحدة من أفضل قصائدي. لا تخدعني. إذا لم تعجبك، قل ذلك".

تنهد. "ضعها في صندوق البريد" وكان يقصد المغلف.

أخرج لفافة من أوراق نقدية من جيبه وسحب منها ورقة بقيمة عشرة دولارات. شكرته عليها ووضعتها جانبًا. والتفت إلى الآلة الكاتبة وقلت:

"الآن سأمنحك مكافأة صغيرة، أيها الدوق. شيء ستقدره حقًا" بدأت بتنضيد سوناتتي المفضلة من قصيدة روبرت بروك التلة:

لاهثين، طوحنا أنفسنا على التلة العاصفة،

ضحكنا في الشمس، وقبلنا العشب البهيج.

قلت: "نعبر بالمجد والنشوة،

تظل الريح، الشمس، والأرض، الطيور لا تزال تغرد،

عندما نكبر، نكبر.... " "وعندما نموت

كل شيء لنا، والحياة تحترق

عبر عشاق آخرين، وشفاه أخرى،" قلت أنا،

"يا قلب قلبي، سماؤنا الآن، كسبت!"

نحن أخيار الأرض، تعلمنا درسها هنا.

الحياة صرختنا. حافظنا على الإيمان!" قلنا،

"سوف ننزل بخطوة كارهة

متوجين بالزهر في الظلمة!..." كنا فخورين،

وضحكنا، لأننا كنا نملك أشياء حقيقية شجاعة نقولها.

وثم بكيت فجأة، وابتعدت.

عندما انتهيت من قراءتها، كان فمه ملتويًا بالضيق، وانتزع الورقة من يدي، تفحصها، حملق بها، نصف مجعدة في قبضته.

هتف، محولاً الصفحة إلى كرة، رماها على الأرض. كان رجلاً قصير القامة جدًا، لكن عندما نهض على قدميه كانت له فداحة سلحفاة كبيرة. فجأة كانت يداه تحت إبطي ورفعني نحو السقف، وهزني بعنف. نظر نحوي بوجهه الشاحب وعينيه القاتمتين الدخانيتين.

"لا أحد يخدع دوق سردينيا". انفتحت أصابعه ووقعت بشدة في كرسي. وهو يغادر، كانت كرة الورق المجعدة في طريقه. ركلها بعنف وخرج.

الفصل الثامن عشر

كان الدوق يجر عربته الممتلئة بالرمل يوميًا على الشاطئ نحو مصنع التعليب ذهابًا وإيابًا. ذات أصيل حسبت له الوقت. استغرق ساعتين. كان يعود دومًا في نفس الحالة من الإرهاق، يقع ممددًا على وجهه في الرمل. أردت أن نكون صديقين. ابتسمت، قلت "مرحبًا"، لكنه كان لا يزال مستاءً، إلى أن قال ذات أصيل والعرق يتصبب منه:

"غدًا سأصارع. في القاعة الأولمبية. تعال". تفاجأت، وكنت على وشك أن أقول شيئًا، لكنه أمسك بفكي. "غدًا أتفهم؟"

هززت رأسي. "من ستصارع يا دوق؟"

"حيوانًا"، قال "يدعى ريتشارد قلب الأسد".

"هل هو جيد؟"

"إنه جيد. سأقتله بكل الأحوال".

مشى مجهدًا نحو الماء وغطس فيه، سعيدًا كدلفين. لم يكن لدي رغبة في الذهاب إلى مباراة المصارعة. كلما فكرت فيها أكثر ازداد استيائي منه، لكن كان هناك وسيلة بسيطة للتملص. سأركب سيارتي وأقود إلى ويلمنجتون وأذهب إلى السينما. جاء يقطر ماءً وجفف نفسه على الشرفة.

"سنركب سيارتي غدًا"، قال. "نغادر عند السادسة. كن مستعدًا" وذهب إلى منزله.

لم أرغب في المشاركة في مصارعته اللعينة، واعتزمت عدم الذهاب. جلست طوال ذلك اليوم أنمي عزيمتي على عدم مرافقته، وعند موعد النوم شغلت نفسي في هذا الاحتجاج المسعور حتى أضحى النوم مستحيلاً. تقلبت طوال الليل وتدحرجت. عند الساعة الثانية صباحًا لم أعد أحتمل فنهضت وارتديت ملابسي بهدوء. مشيت على أطراف أصابعي إلى الباب وخرجت، حريصًا على ألا يصدر باب المنخل ضجة صارخة. سرت بهدوء نحو سيارتي وانزلقت خلف المقود وأنا أدير مفتاح الانطلاق أمسكت يد بحنجرتي. كان يقف الدوق هناك.

"إلى أين أنت ذاهب"؟ سأل.

"ذاهب لشراء الحلوى"، ارتجلت على الفور.

"الوقت متأخر جدًا لشراء الحلوى"، قال. "اذهب إلى السرير".

خرجت من السيارة وعدت إلى المنزل. تبعني مثل شرطي لا يتعب. صفقت الباب الرئيس وأقفلته. كنت غاضبًا جدًا وأردت أن أقتله. فتحت الباب الأمامي وصرخت في وجهه:

"عليك اللعنة، أيها القروي السيء! أكره شجاعتك! أنا لست ذاهبًا إلى مباراتك غدًا-وليس حتى لأرى رأسك مضروبًا! أنت حثالة! أنت زائف ومهزلة وحثالة! هل تعرف كم أنت أبله؟ أنت أبله لدرجة أن قصيدة روبرت بروك لم تعجبك. لقد ضحكت عليك، أيها الجاهل. لبروك العظيم ولم تعجبك!"

صفقت الباب وأقفلته وذهبت إلى السرير.

في صباح اليوم التالي وجدته جالسًا على شرفتي. حدق بي بعينين كسيرتين.

"هل أنت غاضب؟" سأل.

"لا".

"أنت صديقي. أنت تعجبني".

"وأنت تعجبني أيضًا".

"سأذهب بمفردي إلى المصارعة".

"هل هي على قدر من الأهمية؟"

"المشجعون لا يحبونني. أحتاج إلى شخص يقف معي في ركني".

تنهدت قائلاً: "حسنًا، يا دوق، سأذهب معك".

تقدم نحوي ووضع يده على نقرة عنقي وهزني برفق.

"Grazie" [1]، ابتسم.

تحدثت الصحف عن أن خمسة آلاف شخص حضروا مباريات المصارعة ليلة ذلك الخميس. كان دوق سردينيا محقًا؛ الجميع في المكان يكرهونه باستثنائي. من لحظة ترجلنا من سيارته في ساحة انتظار السيارات ومسيرنا نحو القاعة الأولمبية، استقطب حشدًا عدائيًا بشكل متزايد. كانوا مكسيكيين، وسودًا، وأجانب، يضايقونه، يرمونه بالأشياء، وينعتونه بأقذر الصفات. مشيت بجانبه وشعرت بأمواج الكراهية المتكسرة. ونحن ندخل من باب جانبي مخصص للمصارعين، لاح أمامنا رجل أسود ضخم ورمى فطيرة ليمون في وجه الدوق. هذا لم يخجل الدوق على الإطلاق. بدلاً من ذلك هاجم مثل كلب الصيد، وأمسك ساقي الرجل الأسود بقبضة مقص، وبطحه أرضًا. ثم جلس الدوق فوقه ومسح فطيرة الليمون من على وجهه بوجه الرجل الأسود. في الحال فار حشد، مبعدًا الرجلين. وصل رجال الشرطة، وجروا الدوق من القاعة إلى غرفة الملابس. كان الدوق نشطًا الآن،

1- شكراً بالإيطالية.

مفعمًا بالحماس جاهزًا لريتشارد قلب الأسد.

عندما حان وقت القتال تبعت مصارعي إلى الساحة وهبطنا الممر نحو الحلبة. ولجت الكراهية التي ولدها عظامي. لم أتمكن من فهم سبب كراهية الحشد له بهذا الشكل، ومع ذلك، لم يكن عليه أن يهزأ بشكل سافر، أو يومئ لهم بهذا القدر من البذاءة. قفزت امرأة من مقعدها وصفعته على وجهه. تهكم الدوق وبصق عليها. اجتمع عدة حجاب تحت الحلبة وحموه وهو يصعد إلى الحلبة. مشى فوقها، يهز قبضته، صاح الحشد صيحات غاضبة، وهوجم ثانية برمي الأنقاض. دخل الحكم الحلبة وطلب منه أن يجلس. جلس الدوق، وهدأ المشهد.

بعد لحظة أو اثنتين علا زئير التأييد من حناجر الجماهير. كان هناك صفير وهتاف لدى ظهور ريتشارد قلب الأسد. كان يرتدي رداءً أبيض حريريًا. كان حذاؤه أزرق ناعمًا، وشعره الأشقر الجميل المصفف بعناية منسدلاً على كتفيه. كان جميلاً، والحشد عشقه. خلع رداءه الأبيض وكشف عن جذع مصبوغ بمسحوق أزرق. انحنى بشدة للجميع. ثم بشكل متباهٍ تمامًا، ركع وسط الحلبة ورسم إشارة الصليب، أحنى رأسه، أغلق عينيه، وصلى. قفز الدوق فجأة من ركنه ورفس بكلتا قدميه ورمى ريتشارد على أرض الحلبة.

كان الجمهور مثل حشد من الأسود. كانت الأشياء تقذف، أشياء مثل كراسي وزجاجات، وفواكه وطماطم، والآن أعرف السبب الذي جعل الجميع يكره هذا الرجل. كان العدو.

كانت التمثيلية واضحة. لن يستطيع الدوق أن يكسب على هذه الحلبة. قد يقسو كثيرًا، لأنه كان الشرير، لكن ريتشارد قلب الأسد، المطوب بالنقاء، قد يغلبه في النهاية. هو من جاءت الحشود لتراه والمال دفع من أجله.

الفصل التاسع عشر

بدأ القتال بوقوف المتصارعين متقابلين وسط الحلبة. كان طول الدوق 2.5 قدمًا ووزنه 235. كان طول ريتشارد قلب الأسد 8.6 قدمًا ووزنه 235. تجولا، يتناوشان بقبضاتهما. انزلق الدوق سريعًا بين ساقي ريتشارد قلب الأسد وأمسك بتسريحة شعره المنسابة. نزل مثل طن من الفحم. قفز الدوق فوقه، وأمسك بعنقه بقبضة مقص. رفس قلب الأسد عاجزًا، وازرق وجهه. كان الجمهور واقفًا، يصيح بغضب. صعدت امرأة من بين الحبال وصفعت وجه الدوق عدة صفعات بحقيبتها. هلل الجمهور. زحفت امرأتان أخريان داخل الحلبة، خلعتا حذاءيهما، وسددتا ضربة رهيبة للإيطالي الفظ، مما اضطره لتحرير عنق قلب الأسد.

أفرغ الحكم الحلبة وتواجه المتصارعان مجددًا. هذه المرة حصل قلب الأسد على الأفضلية، رفع الدوق فوق رأسه ودومه مرارًا وتكرارًا، ثم قذفه بعنف على الأرض. زعق الجمهور فرحًا. تمدد الدوق هادئًا، فاقد الوعي فيما يبدو. التقطه قلب الأسد، وحمله إلى حافة الحلبة ورماه على الحبال ونحو حضن ثلاث نساء. بدا فاقد الشعور هامدًا. تخلصت النسوة منه ورمينه على الأرض بأرجلهن. تدحرج بعيدًا عنهن، وترنح على قدميه، وعاد إلى الحلبة متألمًا، وجهه مغطى بالدم.

صفر الحكم وساعد الدوق ليدخل ركنه. تم استدعاء الطبيب. مسح الدم، معلنًا أن الدوق في حالة جيدة، وطلب مواصلة القتال. تحرك الدوق متثاقلاً، لكن شديد الذهول لأنه تجول حول الحلبة دائخًا. في الجهة الأخرى

من الحلبة، صوب قلب الأسد تسديدة ثاقبة ونطح الدوق في معدته. نزل الدوق إلى الأسفل ثانية. رمى قلب الأسد نفسه على جسد المنبطح، وضبط قدم الدوق ولواها إلى الخلف في مسكة مريعة. بدا الجمهور، مأسورًا، إنه يدندن مستمتعًا. انحنى الحكم ليتأكد من أن أكتاف الدوق مست الأرض. المنتصر قلب الأسد، لا يزال يطوي قدمي الدوق نحو ظهره الصغير، لوح للجمهور، والجمهور لوح له. لم أكن خائفًا من أن يهزم الدوق بقدر ما كنت خائفًا من أن يموت، لأنه كان بلا حراك، عيناه مغلقتان، يلهث بشدة.

فجأة تحرك، وامتدت ذراعاه القصيرتان السميكتان نحو خصلات شعر قلب الأسد المنسابة. شل الرعب الجمهور. ملأ زئير من التفجع القاعة، عندما ضربت يدا الدوق خصلتين من الشعر الأشقر، ورمى قلب الأسد جانبًا. بشكل غرائبي، مثل سرطان يصوب سيره، تشبث الدوق بالشعر وهو يترنح على قدميه. صرخت النساء. بكى البعض وهو يجر قلب الأسد حول الحلبة من شعره.

نوَّع هجومه. رفس قلب الأسد في فكه. جلس على وجهه ونطط جسده بلا رحمة، يضحك على الجمهور، يسخر من احتجاجاتهم. ثم أمسك قلب الأسد من ظهره، أكتافه مثبتة بخطورة على الأرض. فجأة انهار الرجل الجميل، أكتافه تختلج. جلس الدوق عليه وقرص أنفه. كانت إهانة لا تحتمل. أعلن الحكم الدوق رابحًا للجولة الأولى.

لم يستطع الجمهور احتماله. ازدحمت الحلبة بالحضور ونزل الكثير من المعجبين على دوق سردينيا. سوف يشقون جسده أشلاءً ولن تحول الشرطة دون ذلك. طرد من الحلبة ونزل الممر إلى غرفة ملابسه.

مدربا قلب الأسد رفعاه على مقعده في الزاوية. برزت ساقه اليمنى متصلبة. دخل طبيب إلى الحلبة وفحصه. كان قلب الأسد يدمع. تحدث الطبيب والحكم معًا بهدوء. رن قاض بجانب الحلبة الجرس. في الهدوء الذي

تبع أعلن الحكم أن نتيجة القتال هي التعادل، وطالما أن قلب الأسد لا يمكنه المتابعة كانت المباراة قد انتهت. تبع ذلك شغب. تدفق مؤيدو قلب الأسد داخل الحلبة وهاجموا الحكم ومزقوا قميصه وأوقعوه أرضًا. قفز رجال الشرطة لإنقاذه بينما كنت أفر من الممر إلى مؤخرة القاعة.

تمدد الدوق على طاولة التدليك في غرفة الملابس، يدلك المدرب عضلاته. ابتسم وأنا أتقدم.

"جيد جدًا، أليس كذلك؟" سأل.

"كان تعادلاً يا دوق".

"تعادل؟" قفز من على الطاولة. "لم تقول ذلك؟"

"الحكم".

خرج الدوق من غرفة الملابس ونزل إلى القاعة. راقبته يشق طريقه عبر الحشد المجتمع في الممر. كانت الشرطة فوقه في الحال، يحملونه وهو يكافح ويصرخ معيدين إياه إلى غرفة الملابس، ويغلقون الباب خلفه. وقفت في القاعة لعشر دقائق، أحار ماذا أفعل. داخل غرفة الملابس صرخ الدوق ورمى الأثاث.

عدت إلى الميدان وراقبت المتصارعين يتصارعان في الحلبة. لقد أسأمني. خرجت إلى السيارة وأشعلت سيجارة. انتظرت ظهور الدوق مدة ساعة. أخيرًا انتهت المباراة وتدفق الجمهور نحو ساحة انتظار السيارات. انطلقت السيارات واحدة تلو الأخرى إلى أن لم تبق سوى سيارة الدوق المارمون.

مرت ساعة، عند منتصف الليل، خطا بخطوات واسعة نحو السيارة. جلس بجانبي ورأيت أن وجهه كان مجروحًا بسوء، أنفه ينزف، براجمه وسرواله ملطخة بالدم. مد يده إلى حجرة القفازات وأخرج علبة المناديل الورقية. ربت على وجهه المكسور والنازف. رأيت صنبور ماء عند زاوية

المبنى وقلت له. خرج من السيارة وتوجه نحو الصنبور وفتحه. فرك كفيه في الماء المتدفق، ثم ملأهما ومسح وجهه. شعرت بالأسف عليه. شخص هزمه، وكان غاضبًا ورزينًا ومكتئبًا. عدنا إلى السيارة ودخلناها. أمسكت بلفافة المناديل الورقية. كان بين الحين والآخر يمد يده فأعطيه دفعة جديدة من المناديل. قدنا نحو آفالون واستدرت يمنة نحو المرفأ. قاد بصمت إلا أنه بين الحين والآخر كان ينشج.

الفصل العشرون

تمدد الدوق طوال اليوم التالي في السرير، مديرًا وجهه نحو الحائط. كلما قرعت على الباب ودخلت لم يكن يتحرك.

سألت: "هل أنت بخير؟"

"شكرًا لك. اذهب".

في اليوم التالي حدث الأمر نفسه. لم أستطع أن ألحظ أية حركة في جسده على الإطلاق.

"هل في وسعي أن أحضر لك شيئًا؟"

"لا. اذهب".

"لابد من أن تأكل شيئًا يا دوق".

"من فضلك دعني وشأني".

صباح اليوم الثالث كنت نائمًا عندما سمعت صوت محرك سيارته في الخارج. ذهبت نحو الباب ورأيته يرجع بالسيارة. رآني وضغط على المكابح. نزلت نحو السيارة. بدا منتعشًا ومبتسمًا.

"هل تشعر أنك بخير؟"

"أشعر أني بخير. ذاهب إلى لوس أنجلس من أجل مباراة".

"من ستقاتل؟"

" ريتشارد قلب الأسد ثانية. ذاهب من أجل إعادة المباراة. سأقتله هذه المرة". عشَّق ناقل الحركة، لوح، وانطلق. كان غائبًا طوال النهار وحتى الليل. حوالي منتصف الليل سمعته يدخل بسيارته.

في الصباح سمعت صوت تحريك العربة الكبيرة، العجلات تقرقر في الرمل. كان الدوق قد عاد إلى عمله. راقبته يربط جسده إلى العربة ويحث السير في الرمل الأبيض الناعم. خرجت إلى الشرفة وصرخت:

"متى تقاتل؟"

"بعد أسبوعين. في القاعة الأولمبية".

"هذا سيئ يا دوق، المشجعون يكرهونك هناك".

كشَّر.

"لا لا. إنهم يحبونني. الجميع يحب دوق سردينيا".

كنت جالسًا على الشرفة أقرأ ميلفيل عندما تقدمت السيارة. كانت من نوع فورد وتقودها فتاة. أطفأت المحرك وترجلت. نظرت نحو الشاطئ. لم يكن الدوق في مرمى البصر. تقدمت الفتاة نحو شرفته الأمامية وقرعت على الباب. كانت جميلة ترتدي تنورة بولكا زرقاء منقطة وسترة زرقاء. كانت مؤخرتها من الجنة. كان وجهها لطيفًا بشكل رائع في إطار شعرها القاتم وعينيها البراقتين.

"إنه ليس هنا"، قلت. "إنه يتمرن على الشاطئ".

رفعت بصرها نحو الرمل. "أي طريق سلك؟"

أومأت. "إنه يجر عربة حمراء كبيرة".

"شكرًا لك"، قالت. " هل سيتأخر؟"

"ربما ساعة؟ أنا والدوق أصدقاء. لم لا تجلسين وتنتظري؟"

نظرت من حولها باحثة عن كرسي.

"أنا آسف"، قلت. "هل تودين الدخول؟"

"لا شكرًا لك" اتكأت على العمود وتناهت إلى الصمت. نهضت.

"هل يمكنني أن أجلب لك شيئًا؟ ماذا عن بعض القهوة؟ لقد حضرتها للتو".

"لا شكرًا لك".

"أنا آرتورو باندينى".

ابتسمت. "كيف حالك؟ أنا جيني بالادينو".

"من لومبوك"، ابتسمت.

سألت مجفلة: "كيف عرفت؟"

"لقد ذكرها الدوق". فتحت باب المنخل. "أرجوك تفضلي. أنا أصنع قهوة رائعة".

"لا شكرًا".

"لا تخافي. لو كنت صديقة الدوق، فأنت في مأمن هنا تمامًا. هل أبدو مثل شخص قد يعتدي على صديقة دوق سردينيا؟"

تفحصني وجهها بجدية، ثم ابتسمت. "لا أظن ذلك".

"ادخلي،" أصررت. "كوني ضيفتي".

"حسنًا..." ترددت.

"من فضلك لا تقلقي. أنا أخاف من الدوق للغاية".

دخلت. أرشدتها نحو أفضل كرسي وجلست. فجأة استحوذ عليَّ إحساس طائش. كان هناك شيء مستهجن في عينيها وفي شفتها السفلى البارزة. لم أكن أفكر في أن أتقرب منها عاطفيًا. أردت أن ألعب فحسب، أن أدخل معها في لعبة ما. سكبت لها فنجان قهوة، شكرتني ورشفت منه. كانت جميلة وشهوانية ورائعة المظهر، ومع ذلك لم أكن راغبًا فيها، فقط تمنيت أن أتشقلب معها كما تفعل الهريرات. جثوت على ركبة واحدة أمامها وسحبت بسرعة قدمها على الكرسي.

"أوه أنت أجمل أطفال حواء،" ترنمت، "عيونك حلوة، والروعة في قوسيهما. ليباركك الله، أيتها الحورية الجميلة، في انحناءة عنقك المنحوت. أنشد ألا تطرديني، لأني أتوق أن أنعم بوهج عينيك الرائعتين".

انقلبت شفتاها مقطبة. "إذًا أنت هو!" قالت. "عرفت أنه لم يكن الدوق. لا يمكن أن يكون".

لن أؤذيها، قلت لنفسي. لن أستدرجها. أريد فقط أن أجعلها تبتسم.

"أصغ، أوه يا حب! إلى تحليق الحجل، يطير من الحظيرة المفتوحة. ينشد حبه في القش المحصود حديثًا. احمليها لي، أوه أيتها الطيور الجوالة، لا تسمحي لها أن تولي هاربة خوفًا".

قفزت ودفعتني جانبًا. "دعني وشأني،" قالت. ثم صرخت:

"دوق! يا دوق!"

توقفت لتخلع حذاءها، ثم هربت مثل غزال هلع. من البعيد، ماثلاً الآن، رأيت جسم الدوق الثقيل عند دفة عربته الحمراء. وقفت هناك مرعوبًا للحظة. ثم فعلت ما كان يجب فعله.

قذفت ملابسي في الحقائب، جمعت آلتي الكاتبة وركضت نحو سيارتي، ورميت كل شيء في المقعد الخلفي. هرعت نحو البيت ثانية من أجل حمل

آخر. وفي طريقي للخروج رأيت جيني بالادينو بمواجهة الدوق وتومئ بكلتا يديها، نزع العدة عنه وهرع يركض نحوي، جمعت الكتب والممطر وركضت نحو السيارة وأدرت المحرك، كان الدوق على بعد خمسين قدمًا عندما خرجت من الباحة نحو الطريق. رأيته عبر المرآة الخلفية يهز قبضته نحوي ويشتم. سلكت الطريق السريع وأرجحت السيارة نحو الجسر عائدًا إلى لوس أنجلس.

الفصل الواحد والعشرون

مثل طائر عاد إلى موطنه طرت إلى بنكر هيل، إلى فندقي القديم، إلى ألطف امرأة عرفتها على الإطلاق. ركنت السيارة أمام الفندق، وسحبت الحقيبتين، وحملتهما إلى الداخل. كان البهو فارغًا. وقفت هناك للحظة، أتنفس عطر المكان، الرائحة الرؤومة المذكرة ببخور هيلين براونيل. نظرت من حولي بحب. يا للتكافل. يا للثبات. كان كما لو أن البهو سيدوم إلى الأبد، كما لو أن كل شيء ينتظرني. تقدمت نحو المكتب، جلست على حقائبي وقرعت الجرس. فتح الباب خلف المكتب باحتراس ورأيتها تحدق بي مرتابة، كما لو أنها لم تر تمامًا.

"مرحبا هيلين"، ابتسمت.

ظلت تنظر إلي. ثم أغلقت الباب. انتظرت لحظة. عندما لم تعاود الظهور قرعت الجرس ثانية. فتح الباب. نظرت إلي بقسوة. لحظت شعرها. كان أبيض تمامًا الآن، أبيض مثل صوف خروف.

"هيلين"، قلت، وتقدمت إلى جانبها عند المكتب. "أوه هيلين، أنا مسرور جدًا لرؤيتك ثانية". وضعت يدي على كتفيها وانحنيت لأقبلها.

"لا تفعل" قالت. "من فضلك لا تفعل".

"أحبك".

أدارت لي ظهرها. "اذهب" ناشدتني. "لا أريدك هنا. لم يعد في وسعي فعل ذلك".

"من فضلك دعيني أبقى. دعيني أحصل على غرفتي القديمة".

"مستحيل. إنها مؤجرة. غادر من فضلك".

"لنتحدث قليلاً" لاطفتها. "اصنعي لي كوبًا من القهوة، أرجوك".

"لم أنت عنيد جدًا؟ ألا يمكنك أن ترى أني لا أريدك هنا؟" استدارت وأسرعت إلى الباب خلف المكتب. "اذهب آرتورو. جد شخصًا من عمرك. أنا لست لك. ولم أكن يومًا". أغلقت الباب.

لقد ساءني كثيرًا. جلست على الأريكة وحاولت أن أفكر. كيف في وسعي إغراؤها؟ ماذا يمكنني أن أقول لها؟ فجأة شعرت بتعب شديد. ما الذي فعلته لها؟ لم لا يمكننا أن نتضامن كالعادة؟ تشاجرنا مشاجرة صغيرة وهذا كان كل شيء. لم لا يمكننا أن نكون صديقين ونتحدث مع بعضنا نجلس على الشرفة في المساء نراقب المدينة تضاء في الأسفل ونتحدث مثل صديقين قديمين؟ لم كانت تبعدني؟ لم أهتم لأنها كانت أكبر بكثير. سأحبها إلى الأبد.

عندما تبلغ التسعين من عمرها سأظل أحبها مثل المرأة في قصيدة ييتس:

"عندما تشيخين وتشيبين وتغرقين في النوم،

وأنت تميلين برأسك قرب النار، خذي هذا الكتاب،

واقرئيه بتأن، واحلمي بالنظرات الرقيقة

التي كانت لعينيك ذات يوم، وبظلالهما العميقة،

كم من شخص أحب لحظاتك البهيجة السارة،

وأحب جمالك حبًا زائفًا أو حقيقيًا،

لكن رجلاً واحدًا أحب فيك روح الزاهد،

وأحب أحزان ملامحك المتغيرة".

الفصل الثاني والعشرون

وجدت غرفة في شارع تمبل، تقع فوق مطعم فيلبيني. كان أجرها يقدر بدولارين أسبوعيًا دون المناشف، أو الملاءات، أو أغطية الوسائد. أخذتها، جلست على السرير وتفكرت بحياتي على الأرض. لم كنت هنا؟ ماذا الآن؟ من أعرف؟ ليس حتى نفسي. نظرت إلى يدي. كانتا يدَيْ كاتب ناعمتين، يدَيْ كاتب قروي، ليستا مناسبتين للعمل الشاق، ليستا قادرتين على إنشاء العبارات. ماذا في وسعي أن أفعل؟ نظرت في الغرفة، الجدران المبقعة بالنبيذ، الأرض غير المفروشة، النافذة الصغيرة المطلة على شارع فيجيرو. شممت رائحة الطهو من المطعم الفليبيني في الأسفل. هل كانت هذه نهاية آرتورو بانديني؟ هل سأموت في هذا المكان على هذه الحشية الرمادية؟ يمكنني أن أستلقي هنا لأسابيع قبل أن يكتشفني أحد. أمسكت بركبتي وصليت:

"ما الذي اقترفته بحقك أيها الرب؟ لماذا تعاقبني؟ كل ما أطلبه هو فرصة للكتابة، أن يكون لدي صديق أو اثنان، أن أتوقف عن الجري. امنحني السلام، أيها الرب. شكلني لأكون جديرًا بالاهتمام. اجعل الآلة الكاتبة تغني. جد الأغنية التي بداخلي. كن طيبًا معي، لأني وحيد".

بدت أنها تشجعني. ذهبت إلى الآلة الكاتبة وجلست قبالتها. لاح جدار رمادي. دفعت ظهر كرسيي ومشيت في الشارع. ذهبت إلى سيارتي وانطلقت.

لم أستطع النوم في الغرفة الصغيرة، على الرغم من أني اشتريت شراشف وملاءات. المشكلة ظلت، ظل بؤس النهار، عقم العمل في الغرفة أثناء الليل. في الصباح كان لا يزال موجودًا، وخرجت إلى الشارع مجددًا. ثم تذكرت

إحدى قواعد إدجنتون: "عندما تحار، اذرع الشوارع". عند المغيب دورت سيارتي وأخرجتها من ساحة انتظار السيارات وذرعت الشوارع. تجولت هنا وهناك ساعة بعد أخرى. كانت المدينة مثل متنزه هائل، من سفح التلال حتى البحر، جميلة في الليل، المصابيح تتوهج مثل بالونات بيضاء، الشوارع عريضة ومتدفقة وتتوزع في كل الاتجاهات. لا يهم في أي اتجاه تذهب، الطريق دومًا تمتد قدمًا، وتجد نفسك في بلدات صغيرة غريبة وأحياء، وكانت مهدئة ومنعشة، لكن لم تجلب أفكار قصة. منساقًا مع زحمة المرور، تساءلت كم من شخص مثلي سلك الطريق ليهرب من المدينة فحسب. ليل نهار كانت المدينة مزدحمة وكان مستحيلاً أن تصدق أن عند كل هؤلاء الناس أي معنى أو مبنى للقيادة.

في شباط أطلقت شركة ليبرتي للأفلام فيلم فيلدا فان در زي، المدينة الآثمة. رأيته في ويلترن، في ويلشاير، العرض المسائي الأول. ذهبت مستعدًا لأكرهه، وكنت مسرورًا لأني وجدت الصالة نصف فارغة. اشتريت كيس فشار ووجدت مقعدًا في المقصورات. وجلست هناك مستمتعًا أن اسمي قد أزيل من الفيلم، والأضواء أطفئت، شعرت بسرور عارم وارتياح أن اسمي لن يكون بين الأسماء. ضحكت بصوت مرتفع عندما ظهر اسم فيلدا، وبينما يستمر عرض الفيلم ومركبة السفر تقفز على الأرض، ضحكت ثانية بصوت مرتفع. يد مست كتفي. التفت لأرى امرأة مقطبة.

قالت: "أنت تزعجني".

"لا يمكنني أن أمنع نفسي" أجبت. "إنه فيلم مضحك للغاية".

الآن ظهر فريق الهنود المعادي، وقهقهت. نهض عدة أشخاص في الجوار وتشتتوا مغيرين مقاعدهم.

وهكذا استمر الحال. كان عملي وأفكاري كلها بعيدة جدًا عن الفيلم،

ذلك أنه كان مذهلاً، لا يصدق. عثرت في مكانين فقط على سطرين ربما كتبتهما، إذ إن المخرج لم يحذفهما. كان الأول في المشهد الأول عندما يذهب العمدة إلى المدينة الآثمة وهو يعدو على الفرس ويعرج بفرسه على الحانة ويصرخ "قف" الآن أتذكر ذلك السطر: "قف!" هو سطري. بعد مرور وقت قليل من خروج العمدة من الحانة، يعتلي فرسه ويصرخ "انطلق!" هذا كان سطري أيضًا: "انطلق". قف وانطلق، إنجازي ككاتب سيناريو.

لم يكن فيلمًا جيدًا، أو مثيرًا، أو ناضجًا، وعندما وصل إلى نهايته وأضيئت أضواء الصالة، رأيت الزبائن الضجرين نصف نائمين في مقاعدهم، لا يظهرون أي استمتاع على الإطلاق. كنت مسرورًا. هذا أثبت نزاهتي. كنت رجلاً أفضل برفضي المشاركة. الزمن سيثبت ذلك. عندما سيصبح اسم فيلدا فان در زي منسيًا في بلدة تنسل، سيأخذ العالم بعين الاعتبار آرتورو بانديني. خرجت إلى الليل، ويا إلهي، شعرت بتحسن وانتعاش وشفاء! قف وانطلق! هنا نمضي مجددًا. ركبت سيارتي وأقلعت في حركة سير على طول جادة ويلشاير متوجهًا نحو فندقي.

صعدت إلى غرفتي وارتميت على السرير منهكًا. كنت أضلل نفسي. لم يكن هناك متعة في مشاهدة المدينة الآثمة. لم أكن مستمتعًا حقًا بفشل فيلدا. في الواقع شعرت بالأسف عليها، وعلى جميع الكتاب، على بؤس الحرفة. استلقيت في تلك الغرفة الصغيرة التي غلفتني مثل قبر.

نهضت ونزلت إلى الشارع. في منتصفه كانت توجد حانة فليبينية. جلست إلى البار وطلبت كأسًا من نبيذ فيلبيني. ضحك الفيليبينيون من حولي ولعبوا لعبة النبلة. شربت المزيد من النبيذ. كان حلوًا ومصبوغًا بالنعناع، دافئًا في المعدة، خفيفًا. شربت خمسة كؤوس، ونهضت للمغادرة. شعرت بالغثيان، وبدا أن معدتي تعوم في صدري. خرجت على الرصيف، اتكأت على عمود الإنارة وشعرت بالقوة ترشح من ركبتي.

ثم تلاشى كل شيء، وكنت في سرير في مكان ما. كانت غرفة بيضاء بنوافذ كبيرة وكان ضوء النهار. كان هناك أنابيب في أنفي وفي حلقي وشعرت بالألم بسبب التقيؤ. وقفت ممرضة إلى جانب السرير وراقبتني أتقيأ وأتلوى إلى أن لم يعد هناك المزيد منه، فقط ألم رهيب في معدتي وحلقي. أزالت الممرضة الأنابيب.

"أين أنا؟" سألت.

"في مشفى شارع جورجيا"، قالت.

"مم أعاني؟"

"تسمم،" قالت. "صديقتك هنا".

نظرت نحو الباب. وكانت هيلين براونيل واقفة هناك. جاءت بهدوء إلى جانب السرير وجلست. أمسكت بيدها وبدأت أنتحب.

"اهدأ الآن،" هدأتني. "كل شيء على ما يرام".

"ما خطبي؟" اختنقت. "ما الذي يجري؟"

"ألا تتذكر؟"

"شربت بعض النبيذ هذا كل شيء".

"شربت كثيرًا،" قالت. "لقد أغمي عليك، والنبيذ جعلك تتوعك جدًا".

"هل جلبتني إلى هنا؟"

"سيارة إسعاف الشرطة".

"كيف عرفتِ؟"

"كان عنواني في محفظتك".

"كم مضى على وجودي هنا؟"

"منذ منتصف الليل"، قالت.

"هل يمكنني المغادرة الآن؟"

تقدمت الممرضة. "ليس قبل حين"، قالت. "يجب أن يراك الطبيب أولاً".

نهضت السيدة براونيل وعصرت يدي. "يجب أن أذهب الآن".

"أراك في الفندق".

عضت شفتها. "ربما ليس عليك".

"لم لا؟ أنا أحبك".

"لا تقل ذلك"، أجابت.

"هذا حقيقة"، أصررت. "أحبك أكثر من أي شخص في العالم. لطالما أحببتك. وسأحبك دومًا".

دون جواب، استدارت بابتسامة صغيرة، وخرجت من الغرفة. شعرت بأن معدتي تضطرب، وأمسكت الممرضة رأسي وأنا أتقيأ في الحوض. كان الوقت متأخرًا في الأصيل عندما فحصني الطبيب وسمح لي بالمغادرة. عندما سألت عن الفاتورة أجاب بأنه تم تسديدها.

"من دفعها؟" قلت.

"السيدة براونيل".

ارتديت ملابسي ونزلت إلى الردهة فالباب الرئيس، حيث ركبت عربة الترام الذاهبة نحو شارع هيل. نزلت عند الشارع الثالث وركبت القطار إلى قمة بنكر هيل.

الفصل الثالث والعشرون

وقف رجل خلف المكتب في بهو الفندق. كان نحيلاً وطويلاً وله هالة من شعر رمادي. طلبت رؤية السيدة براونيل.

"ليست هنا"، قال.

"متى تتوقع عودتها؟"

"لا أعلم. ذهبت إلى سان فرانسيسكو".

كان فيه شيء مألوف. "هل أنت قريبها؟" سألت.

"أنا أخوها"، قال. "هل تدعى بانديني؟"

"صحيح".

رفع سجل المكتب، وتناول مغلفًا وناولني إياه. كان اسمي مدونًا عليه. فتحت المغلف. كان في داخله إفادة من مستشفى شارع جورجيا، تقول إنه تم دفع فاتورة وقدرها 12 دولارًا. بحثت داخل المغلف عن تفسير. لم يكن يوجد شيء. راقبني الرجل.

"هل تركت أية رسالة إلى جانب هذا؟"

"هذا كل شيء".

أخرجت محفظتي ودفعت له الاثني عشر دولارًا. وضعها دون أن يشكرني في درج النقود. أومأت نحو باب شقة السيدة براونيل وحدقت متجهمًا.

"هل أنت واثق من أنها ليست هناك؟"

دفع الباب وفرد ذراعيه. "انظر بنفسك".

هززت رأسي. "ليس من عادتها أن تفعل أمرًا كهذا".

ابتسم الرجل المسن. "هذا ما تظنه يا ولد".

خرجت إلى الشارع. كانت الشمس تهبط في المحيط على بعد ثلاثين ميلاً غربًا، وكانت المدينة في لجب ألوان الغروب الوهاجة، قطع من غيوم تتجمع في الأفق البعيد ورذاذ مطر في الهواء. تحت بنكر هيل سمعت ضوضاء المدينة، رنين أجراس عربة الترام، هدير السيارات، طبقات الصوت الأكثر انخفاضًا. كان نفق الشارع الثالث تحت أقدامي، صمت حركة السير المفاجئ عند دخوله، وهديرها وهي تنبثق منه.

ما الذي أفعله هنا، سألت. أكره هذا المكان، هذه المدينة التي لا أصدقاء فيها. لم كانت دومًا تدفعني بعيدًا مثل يتيم غير مرغوب فيه؟ ألم أدفع ضرائبي؟ ألم أعمل بجد؟ ألم أسعَ بجد؟ ما الذي لديها ضدي؟ هل كان الإحساس المستمر بقرويتي، القناعة القديمة بأنني بطريقة ما لم أنتمِ إليها؟

لو لم تكن لوس أنجلس، إذًا أين؟ أين يمكنني أن ألقى الترحيب، أين يمكنني أن أجلس بين الناس الذين يحبونني ويهتمون لأمري ويفخرون بي؟ ثم خطر لي. هناك مكان، ويوجد أناس يحبونني، وسوف أذهب إليهم. إذًا عليك اللعنة، لوس أنجلس، اللعنة على نخيلك، ونسائك ذوات المؤخرات العالية، وشوارعك الجميلة، لأني ذاهب إلى بلدي، عائد إلى كولورادو، عائد إلى أفضل مدينة لعينة في أميركا-بولدر، كولورادو.

الفصل الرابع والعشرون

أودعت سيارتي في مخزن وركبت حافلة جريهاوند مع حقيبتين. انطلقت الحافلة من لوس أنجلس في الساعة السابعة من مساء يوم حار للغاية. في الواقع، كان آخر يوم حار سوف أعيشه لمدة شهر. كانت الحافلة في الداخل أكثر سخونة من النهار، تموج المقاعد الجلدية بالحرارة عندما يجلس المرء عليها، وتمدد المسافرون بإرهاق وانزعاج عندما وصلنا حدود المدينة. بدوا كما لو أنهم كانوا مسافرين لأيام، سحب من دخان السجائر تملأ الهواء.

عندما دخلنا نيفادا، بدأت أول ندف الثلج بالتساقط. سرنا عبر نيفادا في عاصفة هوجاء، الثلج يتكوم، الحافلة تخفف سرعتها في عاصفة عمياء. عندما وصلنا يوتا وتوقفنا كان الثلج فوق العجلات. هرعنا إلى المحطة، شربنا أكوابًا من القهوة المقززة، وصعدنا ثانية. مرت الساعات، سقط الثلج بإصرار خفي، كما لو أنه يريد أن يدفننا على السهل. في وايمنج خرجت محاريث الثلج من روك سبرينج لإنقاذنا، وكانت الرحلة بطيئة تكاد تكون زحفًا. عندما توقفنا في محطة بولدر توجب علي أن أناضل سائرًا أترنح نحو الخارج.

كان الثلج مهولاً، الندفة كبيرة بحجم دولار، تندفع ببطء نحو الأرض، وتتمدد هناك لا تذوب. وقفت أمام محطة الحافلات أرتجف في سترة خفيفة، أطرف نحو بلدتي. أين كانت بحق الجحيم. الثلج تلاعب بالمشهد مضللاً. كنت أعلم بوجود جسر على بعد نصف شارع لكنه الآن لم يكن مرئيًا، كنت

أعلم بوجود مخزن للأخشاب في الجهة الأخرى من الشارع لكنه تلاشى. ارتجفت وأشعلت سيجارة وخبطت بقدمي لأحافظ على دفئهما، فجأة وقف شخص أمامي اعتقدت أني أعرف وجهه لكني لم أكن واثقًا حتى قال:

"ماذا تفعل هنا؟"

هذا لا يمكن أن يكون سوى أبي.

"لقد عدت إلى البيت".

انفجرت أنفاسه كالبخار.

"أنت تشعر بالبرد"، قال. "أين معطفك؟"

"أنت ترتديه،" قلت. فك أزرار المعطف الثقيل المصنوع من فراء الخراف وخلعه.

"البسه،" قال ممسكًا إياه من أجلي.

"ماذا عنك؟"

"لا تهتم. البسه".

ساعدني على ارتدائه. كان بقميص الآن، تضربه ندف الثلج.

"لنذهب،" قال. ابتعدنا سريعًا. بدا المعطف دافئًا من حرارة جسمه. كانت كل قطعة جزءًا من حياتي مثل كرسي قديم أو شوكة بالية أو شال أمي أشياء حياتي أشياء مدخرة تافهة غالية.

"من أجل ماذا أتيت؟"

"أردت المجيء. كان عليَّ أن آتي. شعرت بالوحشة".

"تركت عملك في السينما؟"

"إلى حين، ربما حتى وقت لاحق".

"لا شيء من أجلك هنا،" قال والدي ونفسه يتبخر. "ما الذي ستفعله الآن؟"

"سأفكر في شيء ما". قلت.

"لم تصغ إلي،" وهو يكاد يتأوه. "أنت لم تصغ يومًا إلى والدك".

"كان عليَّ أن أفعل على طريقتي".

شتم "وعلام حصلت؟"

اشتدت العاصفة ثم هدأت. نظرت إلى شارع آراباهو. بدت أشجار الدردار الكبيرة أكبر في ضوء الثلج. احتشدت المنازل مثل حيوانات في العاصفة. أصدرت سيارة جلبة، سلاسلها ترن. على بعد ميل كانت أولى تلال جبال روكي الطويلة، لكن الثلج أخفاها في ستار أبيض. عبر الشارع في باحة ديلاني وقفت إلسي الكبيرة، بقرتها، بصبر في العاصفة، تراقبنا ونحن نمر بها.

يا له من شارع رائع! كم أمضيت من حياتي هنا، تحت أشجار الدردار الهادئة، بيتنا على مبعدة شارع واحد؛ عيد الميلاد والبيسبول وتناول أول قربان والهالوين، والطيارات الورقية والزلاجات، وألعاب الكرة وعيد الفصح والتخرج وكل حياتي استدعاها هذا الشارع الرائع بالمنازل القديمة وأضوائه الخافتة في النوافذ، والبيت عند آخر الشارع.

وصلنا إلى المنزل، وكانت هناك مركونة في الشارع سيارة أخي البالية السياحية، القمة معطلة، الداخل مغمور بالثلج. لا يهم عاشت حياتها عندما يذوب الثلج ستقلع وتهدر بمرح. صعدت ووالدي درج الشرفة ونفضنا الثلج عن أحذيتنا قبل الدخول فتحنا الباب وصرخ والدي:

"ها هو!"

رأيت أمي في المطبخ عند الفرن، تحمل مغرفة في يدها. التفتت ورأتني. بصرخة إلى الله، فتحت ذراعيها ورمت المغرفة وجاءت تهرع نحوي.

"عرفت ذلك"، قالت. "كنت أقول ذلك طوال اليوم".

تلاقينا وتعانقنا في غرفة الطعام، عناق وقبل، وهي بكت ودموعها بللت وجهي. أخي ماريو وقف جانبًا، محرجًا. لقد كبر كثيرًا منذ آخر مرة رأيته فيها، ولد حيي، عاجز عن الكلام بعمر التاسعة عشرة. انزلقت أختي ستيلا بين ذراعي. كانت في السادسة عشرة، جميلة جدًا وخجولة جدًا، لكنها ليست خجلة من دموعها. من فوق كتفها رأيت أخي الصغير توم، في الصف السابع في مدرسة القلب الأقدس. تعانقنا وقال:

"أنت أصغر مما اعتقدت".

أخذتني أمي من يدي إلى المطبخ.

"هل تظن بأني لم أعرف"؟ قالت. "أنت تظن بأني سأدخل في كل هذا الكدر لو لم أكن أعلم بقدومك؟" أومأت نحو طبق العجن الحديدي الصلب على الموقد.

"انظر!"

كانت لازانيا، صلصة طماطم حمراء تبقبق في بحر من الباستا.

"كيف عرفت بقدومي؟" سألت. "أنا نفسي لم أكن أعلم حتى الدقيقة الأخيرة".

"صليت، وماذا غير ذلك؟"

أخذ أخي توم بيدي وسحبني نحو غرفة الطعام، ومنها إلى غرفة النوم.

سأل هامسًا. "هل رأيت هيدي لامار؟"

"طوال الوقت"، قلت.

"أنت كاذب" ثم، "كيف تبدو؟"

"لا تُصدق. عندما تدخل غرفة يهتز المبنى كله".

"كتبت لها رسالة. لكنها لم تجب عليها".

"اكتب لها ثانية قبل أن أغادر. سآخذها إلى منزلها".

كشر ثم قال: "أنت كاذب"

وضعت يدي على قلبي. "أقسم بالله".

كنا فقراء، لكن كالعادة نأكل جيدًا جدًا، الطاولة عامرة بالسلطة والخبز المنزلي الصنع واللازانيا، والنبيذ الذي يصنعه أبي من الهندباء البرية. عندما انتهينا حان وقت الحديث، استجواب الابن الضال. لم يعتبروني فاشلاً. كنت بطلاً، منتصرًا عائدًا من ميدان المعارك البعيد. حتى أنهم منحوني إحساسًا بأهميتي في العالم.

"الآن إذًا،" قال أبي، منهيًا كأس نبيذه، "من أجل ماذا أتيت؟"

"لأرى عائلتي، هل لديك مانع؟"

نظر إليَّ مباشرة. "هل معك نقود؟"

"قليلاً".

"نحتاجها. أعطها لأمك".

أخرجت محفظتي وأخرجت منها ورقتين من فئة المئة دولار، ودفعت بها نحو أمي. بدأت تبكي.

"هذا كثير"، قالت.

غضب أبي. "اسكتي وخذيها".

دست أمي النقود في جيب مئزرها.

"آرتورو،" قالت ستيلا، "هل تعرف كلارك جيبل؟"

"عزّ المعرفة، هو صديقي الطيب".

"هل هو حقًا لطيف؟ هل هو متشامخ؟"

"إنه خجول مثل طائر".

ملأ أبي كأسه ثانية. "ماذا عن توم ميكس؟ هل سبق أن رأيته؟"

"في الاستوديو كل يوم. هو وطوني".

ابتسم أبي متذكرًا: "طوني، الحصان العظيم".

نظر أخي توم مرتبكًا وسأل: "كم طول قامة هيدي لامار؟"

"أطول منك بكثير".

"متذاكٍ". قال توم.

خبط أبي على الطاولة. "لا تستعمل هذه اللغة في هذا المنزل". ران الصمت احترامًا ثم تكلم ماريو:

"هل صادفت جيمس كاجني يومًا؟"

"مرارًا".

"ما نوع السيارة التي يقودها؟"

"دويسنبرج".

"متوقع"، قال ماريو.

الفصل الخامس والعشرون

كان البيت مكانًا جيدًا. نمت جيدًا. أكلت جيدًا. في الأيام القليلة الأولى تكاسلت في المنزل، أتباهى بملابسي. أسرت الأشياء في حقائبي المنفوخة أمي-بذلاتي، معاطفي غير الرسمية، بناطيلي الواسعة. قطبت الأزرار ورتقت الجوارب، كوت البذل ونظفتها، وعلقتها. مع كل تغيير في ملابسي كانت أمي تشعر بالرعب. لمست القماش، حدقت بي خلسة. كنت شخصين. ابنها عندما أرتدي القطنيات والقميص ذا الأكمام القصيرة، لكن عندما كنت أرتدي بذلاتي البهية المصنوعة من قماش الجوخ كنت أميرًا.

"كان الله طيبًا معي"، تتنهد وتقول "تبدو عظيم الشأن". مع مرور الوقت تعبت من التسكع في المنزل، وبدأت أمضي أيامي في البلدة، أزور الأمكنة القديمة: قاعة بيني وشارع بيرل، زقاق البولينج في ولنات. ذهبت إلى المكتبة ووجدت ثانية الكتب التي غيرت حياتي: شيروود أندرسون، جاك لندن، كنوت هامسن، دوستوفسكي، دانونزيو، بيرانديلو، فلوبير، دي موباسان. الترحيب الذي استقبلوني به كان أكثر دفئًا من الفضول البارد عند أصدقائي القدامى الذين التقيتهم في البلدة.

ذات يوم صادفت جو كيلي، صحفي من صحيفة "Boulder Times". تصافحنا وسعدنا لرؤية واحدنا الآخر. كنت وكيلي في المدرسة الثانوية نسافر إلى دنفر لمشاهدة مباريات دوري البيسبول الغربي. أخذني جو إلى مكتب التايمز، والتقط لي صورة، وأجرى معي مقابلة. لم تكن مقابلة

متملقة، ولم تكن قاسية، لكن كان لها صفة التحدي، كما لو أن الكثير من الأسئلة عن نفسي وعملي كانت بحاجة إلى المزيد من التوضيح. اشترى أبي خمسًا وعشرين نسخة من المقابلة لدى صدورها وجلس جميع أفراد العائلة في غرفة الطعام كل يقرأ نسخته.

اتصلت آجنس لاوسنفي اليوم التالي. كنا أعضاء قدامى في جمعية القلم الأحمر، جماعة أدبية مدعومة من الكنيسة. لم أرها منذ سنتين. كانت فتاة مغرورة مدللة ابنة عائلة ثرية، وعندما دعتني إلى حفلة في منزلها كنت أرغب بداية في أن أرفض الدعوة. كانت الخنة نفسها في صوتها، نفس التحفظ المتكبر.

"سيأتي كثير من أعضاء جمعية القلم الأحمر"، قالت. "نريد أن نراك الآن وقد أصبحت مشهورًا".

"سأحاول"، قلت. "من المفترض أن أذهب إلى حفل آخر، لكن يمكنني أن آتي إلى منزلك لفترة".

أثارت الدعوة والدتي، لأن آجنس كانت ابنة واحد من مواطني بولدر الهامين، وأيضًا مالك أشهر متجر للملابس.

في الليلة التالية لبست بعناية من أجل حفلة آجنس. بذلة من التويد الرمادي، ربطة عنق حمراء، وقميصًا رماديًا. أشرقت أمي.

"يا للشرف!" قالت. "أليس لطيفًا الذهاب إلى تلك المنازل الجميلة! أنا جد فخورة بك".

كنس أخي ماريو الثلج من على سيارته الأوفر لاند، غطى المقعد الأمامي بالقماش وقادني إلى منزل لاوسن المؤلف من ثلاثة أدوار في يونيفرستي هيل. نظرت إلى ذلك المنزل بذكريات بغيضة، كان المنزل محرمًا في السابق. تذكرت

الكثير من الأصياف عندما كانت آجنس تقيم حفلات لطالما كنت مستبعدًا منها، ولم أنس الفاتورة الكبيرة التي تدين بها عائلتي لمتجر لاوسن. لم يتكلم السيد لاوسن يومًا عن الفاتورة لكنه كان دومًا يبدو منزعجًا لرؤيتي.

رننت الجرس وفتحت آجنس. كان بيف نيوهاوس واقفًا بجانبها يحيط خصرها بذراعه، مدافع كرة قدم نجم من فريق كرة قدم جامعة كولورادو. تباهى بيف بسترة ليترمان، مع حرف "C" ذهبي على صدرها. رفعت آجنس يدها وقالت "مرحبًا".

"مرحبا آجنس".

كانت فتاة ضئيلة الحجم شعرها أحمر، ترتدي عباءة سوداء أنيقة.

"هذا بيف نيوهاوس".

صافحت بيف. كانت قبضته قاسية على غير حاجة.

"ماذا تقول؟" كشر.

"مرحبًا بيف"، قلت.

كان هناك عدد كبير من الأشخاص متجمعين في غرفة الجلوس. سبق لي أن عرفتهم جميعًا من المدرسة الابتدائية حتى المدرسة الثانوية. نظروا لي نظرة خالية من المشاعر، كما لو لينكروا علي حتى أتفه تلميح للحميمية أو الوصال. وحده جو كيلي تقدم وصافحني.

"أحببت ما كتبته عني"، قلت.

"جيد. كنت أخشى ألا يعجبك".

"ما رأيك بكأس؟" قالت آجنس.

"جميل. سأشرب الويسكي مع الصودا".

"تقدمت نحو البار وحضرت كأسًا. جاءت فتاة طويلة ترتدي نظارات.

"سمعت أنك تكتب السيناريو"، قالت.

"الأفضل في هوليوود".

ابتسمت ابتسامة شاحبة. "عرفت أنك ستقول شيئًا من هذا القبيل. هل لا تزال تكتب ذلك الشعر البائس؟"

"ما البائس فيه؟ بعت قصيدة للنيويوركر".

جلبت آجنس كأسي. تجرعته بسرعة. جلسنا على الأرائك والكراسي الكبيرة أمام الموقد. أحضرت آجنس لي كأسًا آخر.

"كيف هي الأمور في بلدة تنسل؟" سألت.

"رائعة"، قلت. "يجب أن تأتي ذات يوم".

ضحكت. "أنا في هوليوود؟ هذا مضحك".

"كم يتقاضى كاتب سيناريو من المال؟" سأل بيف.

"في البدء مبلغًا متواضعًا،" قلت. "ثلاثمئة أسبوعيًا. أتقاضى حاليًا ألف أسبوعيًا".

ابتسم بيف بارتياب. "تافه"، قال.

"ربما تراه تافهًا، لكنني أجده مبلغًا جيدًا".

"هل تعرف جويل ماكري؟" سألت الشاعرة الطويلة.

"لست أعرفه فقط، لقد صدف أن يكون واحدًا من أعز أصدقائي".

أعطتني آجنس كأسًا آخر ورشفته.

"ماذا عن جينجر روجرز؟" لاطفتني آجنس. "أخبرنا عن جينجر روجرز، آرتورو".

نظرت في عينيها الماكرتين.

"جينجر روجرز شخص متفوق. لديها سحر وجمال وموهبة. أعتبرها واحدة من الفنانات العظيمات في زمننا. بأية حال، نجمتي المفضلة هي نورما شيرر. جمالها فتان. عيناها رائعتان، ولديها شخصية ساحرة. أعرف الكثير من الممثلات ممن شخصياتهن فاتنة-؛ بتي ديفيس، هيدي لامار، كلوديت كولبيرت، جين هارلو، كاثرين هيبورن، كارول لومبارد، مورين أوسوليفان، ميرنا لوي، جانيت جينور، أليس فايي، إيرين دوني، ماري أستور، جلوريا سوانسون، مارغريت ليندسي، دولوريس ديل ريو. أعرفهن جميعًا. إنهن جزء من حياتي. لقد تناولت الطعام معهن، رقصت معهن، مارست الحب معهن، وسأخبرك بهذا؛ أنا لم أخيب أيًا منهن. اذهب إليهن واسألهن عن آرتورو بانديني، اسألهن إذا ما شعرن بالخيبة يومًا".

توقفت وشربت كأسًا آخر من الويسكي. ثم نهضت.

"ما خطبكم أيها الناس؟ تقدمت نحو البار واتكأت عليه. "كيف يمكنكم أن تعيشوا مثل هذه الحياة المملة؟ أليس هناك رومانسية؟ أليس من جمال فيما بينكم؟" نظرت مباشرة إلى بيف نيوهاوس. "ألا يمكنك أن تفكر في شيء سوى كرة القدم؟ ليس أنا، أيها الضخم. أنا أعيش حياة مختلفة. وبدون ثلجكم اللعين. ألعب في الشمس. ألعب الجولف مع بينج كروسبي ووارنر باكستر وإدموند لوي. ألعب التنس مع نيلز آستر وجورج برينت وويليام بويل وبات أوبرين وبول موني. ألعب بالنهار، وأضاجع عند

الغسق، وأعمل ليلاً. أسبح مع جوني ويسمولر وإستير ويليامز وبوستر كرابي. الجميع يحبني. هل تفهم؟ الجميع".

استدرت سريعًا في تلويحة كبيرة، وانزلق كعبي تحتي، ووقعت على الأرض، كأسي ينسكب. سمعت ضحكهم، وحاولت أن أنهض، لكني انزلقت ثانية ووقعت. رفعني بيف نيوهاوس إلى وضعية الوقوف. كرهته فجأة، وسددت له ضربة في الفك. فارت عيناه بالغضب وجعلني أحصل عليها؛ لكمة سريعة تمامًا في الأنف، وارتميت على الأرض ثانية، يتدفق الدم من أنفي، وينزل على صدري، على بنطالي وكم معطفي، دائخًا رأيت الآخرين يتمايلون ويمشون حولي ويخرجون من المنزل ثم رفعني جو كيلي، دفع منشفة البار تحت أنفي وثبتني وأنا أنزف.

"سأوصلك إلى البيت"، قال. أسندني ونحن نخرج وننزل درج الشرفة. كانت السيارات تنطلق وتغادر. ساعدني جو لأصل إلى سيارته الفورد. كان الدم لا يزال ينزف. ضغطت المنشفة على أنفي ونحن نبتعد.

وصلنا إلى منزلي وترجلت، حريصًا على ألا أصفق باب السيارة. ابتعد كيلي وتوقفت لأجمع الثلج بيدي وأضغطه على أنفي إلى أن توقف النزف. مشيت بهدوء في الثلج نحو نافذة أخي وقرعت على الزجاج. جاء إلى الباب الجانبي مذعورًا نظر إلى وجهي الدامي.

"ماذا حصل؟" سأل.

"وقعت وكسرت أنفي. اهدأ. لا أريد أن تسمع أمي. هل الجرل الكبير هنا؟"

"في سريره".

"أنا مغادر"، همست. "أنا خارج الليلة، في الحال. اهدأ".

دخلنا من الباب الجانبي. فتحت حقائبي على السرير وبهدوء نقلت ملابسي من الأدراج والخزانة إلى الحقائب. ارتدى ماريو ثيابه وراقبني وأنا أغسل وجهي ويدي من الدم. بدلت ملابسي وحزمت بذلتي الملطخة بالدم وقميصي ووضعتهم في الحقيبة.

"لنذهب"، همست. رفع حقيبة وحملت أنا الأخرى دون صوت. خرجنا إلى الثلج ومشيت إلى سيارته القديمة ارتجف صوت ماريو.

"ماذا سأقول لأمي؟" قال.

"لا شيء"، قلت.

"هل أنت واثق من أنك وقعت؟" سأل. "هل أنت واثق من أن أحدًا لم يضربك؟"

"قطعًا".

رمينا الحقائب في السيارة وانطلقنا نحو محطة الحافلات. كانت حافلة دنفر مركونة في المقدمة، تلهث كحيوان. اشتريت بطاقة إلى لوس أنجلس وصعدت الحافلة. وقف ماريو تحت نافذتي ينظر إلي والدموع في عينيه. اندفعت من الحافلة ونزلت وطوقته بذراعي.

"شكرًا ماريو، لن أنسى هذا".

نشج ووضع رأسه على كتفي. "كن حذرًا،" قال. "لا تتشاجر، آرتورو".

"يمكنني الاعتناء بنفسي".

التفت وركبت الحافلة. تلك كانت ليلة الأربعاء. قدنا عبر الثلج معظم الطريق ووصلنا لوس أنجلس صباح سبت مشرق.

الفصل السادس والعشرون

إذًا عدت ثانية إلى لوس أنجلس، مع حقيبتين وسبعة عشر دولارًا. أعجبتني سماوات زرقاء في المدى، الشمس في وجهي، الشوارع المحببة، الفاتنة، الملوِّحة، الإسفلت والحصى، ناعم ومريح مثل حذاء قديم. استجمعت قواي وسرت على امتداد الشارع الخامس. مشيت عازمًا، أتساءل لمَ لم أتمكن من حمل نفسي على مناداتها بهيلين أبدًا. كان عليّ أن أخالف العُرف. سوف أمشي نحو قمة بنكر هيل وأفتح ذراعي وأقول: "هيلين، أحبك".

"سوف نبدأ من جديد، ربما سنشتري منزلاً صغيرًا في تلال وودلاند، على طراز مباني كنساس، مع دجاج وكلب. أوه، هيلين، لقد افتقدتك كثيرًا، والآن أعرف ما أريد. ربما لن تعجبها تلال وودلاند. ربما تفضل الفندق. لقد هرم كثيرًا، مثل أرستقراطي، مثل هيلين نفسها. سوف أختار غرفة للكتابة وسوف نكمل أيامنا معًا. أوه، هيلين. سامحيني لأني تركتك. لن يحدث ثانية.

ركبت عربة الترام نحو قمة بنكر هيل، ونظرت إلى الفندق في البعيد. كان ساحرًا، مثل قلعة في كتاب للحكايات. عرفت بأنها ستقبل بي هذه المرة. شعرت بقوة سنيّ عمري، وعرفت بأني أقوى منها، وأنها ستذوب بين ذراعي. دخلت الفندق ووضعت حقائبي أمام الجدار. لم تكن خلف المكتب. كان عليَّ أن أبتسم عندما عبرت نحو المكتب وقرعت الجرس. عندما لم يجب أحد قرعت الجرس ثانية، بشدة أكبر. فتح الباب قليلاً. وقف هناك الرجل

الذي رأيته في السابق، الرجل الذي قال إنه أخوها. لم يتقدم، وتحدث همسًا.

"نعم؟"

"أبحث عن هيلين".

"ليست هنا"، قال وأغلق الباب. استدرت حول المكتب وقرعت. فتح الباب ووقف هناك يبكي.

"لقد رحلت. ماتت".

"كيف؟" قلت. "متى؟"

"منذ أسبوع. ماتت بالسكتة".

شعرت بقواي تخور، تهاديت نحو ذراع كرسي عند النافذة. لم أرغب في البكاء. انهار شيء عميق ومقيم في داخلي، يبتلعني. شعرت بصدري يجيش. تقدم الأخ ووقف بجانبي باكيًا.

"أنا آسف"، قال.

نهضت، حملت حقيبتي وخرجت. عند المحطة الصغيرة على آنجل فلايت جلست على مقعد حديقة أنوس مفرجًا عن لوعتي. بقيت هناك ساعتين مبتلى ومذهولاً. فكرت في كثير من الأشياء منذ أن عرفتها، لكن أبدًا لم أفكر في موتها. لأنها طوال سنواتها زرعت الحب بداخلي. الآن رحل. الآن وقد توفيت ولم يعد في وسعي التفكير فيها. نشجت، انتحبت وبكيت إلى أن رحل كل شيء، كله، وكالعادة وجدت نفسي وحيدًا في العالم.

سر مدير الفندق الفليبيني لرؤيتي. لم أكن متفاجئًا عندما قال إن غرفتي شاغرة. كانت غرفة تليق بي. استحققتها، الغرفة الأصغر، أقل الغرف جاذبية في لوس أنجلس. صعدت الدرج وفتحت باب الحفرة البغيضة.

"لقد نسيت شيئًا"، قال المدير. وقف في عتبة الباب يمسك بآلتي الكاتبة المحمولة. جفلت، ليس لأنها كانت هناك، لكن لأني نسيت أمرها تمامًا. وضعها على الطاولة وشكرته. مغلقًا الباب، فتحت الحقيبة وأخرجت نسخة من رواية الجوع لكنوت هامسن. كانت قطعة مكنوزة، ترافقني باستمرار منذ أن سرقت الكتاب من مكتبة بولدر. قرأتها عدة مرات حتى أنه بمقدوري أن أتلوها غيبًا. لكن لا يهم الآن. لا شيء يهم.

تمددت على السرير ونمت. كان الفجر عندما استيقظت وأضأت المصباح. شعرت بتحسن وقد غادرني التعب. ذهبت إلى الآلة الكاتبة وجلست أمامها. كانت فكرتي أن أكتب جملة، جملة واحدة تامة. إذا تمكنت من كتابة جملة واحدة جيدة يمكنني أن أكتب اثنتين، ولو أمكنني أن أكتب اثنتين يمكنني أن أكتب ثلاثة، وإذا كتبت ثلاثة يمكنني الكتابة إلى الأبد. لكن لنفترض أني فشلت؟ افترض أني فقدت موهبتي الجميلة؟ افترض أنها احترقت في نار "بيف نيوهاوس" الذي محق أنفي أو موت هيلين براونيل للأبد؟ ما الذي سيحل بي؟ هل سأذهب إلى آبي ماركس وأصبح نادلاً مساعدًا ثانية؟ معي سبعة عشر دولارًا في محفظتي. سبعة عشر دولارًا والخوف من الكتابة. جلست منتصبًا أمام الآلة الكاتبة ونفخت على أصابعي. أرجوك يا الله، أرجوك يا كنوت هامسن، لا تتخليا عني الآن. كان هذا أول ما كتبت:

"حان الوقت"، قالت الفقمة، [1]

"للتحدث عن أشياء كثيرة:

عن الحذاء، والسفن، وشمع الأختام،

عن الكرنب، والملوك".

1- من قصيدة للويس كارول.

نظرت إلى ما كتبت وبللت شفتي. لم تكن من تأليفي، لكن ما المشكلة بحق الجحيم؟ على المرء أن ينطلق من مكان ما.

ولد جون فانتي في كولورادو عام 1909م. التحق بمدرسة كنسية في بولدر، ومدرسة ريجيس الثانوية، مدرسة يسوعية داخلية. التحق أيضًا بجامعة كولورادو ومعهد مدينة لونج بيتش.

بدأ فانتي الكتابة عام 1929م ونشر قصته القصيرة الأولى في The American Mercury عام 1932م. نشر العديد من القصص في The Atlantic Monthly, The American Mercury, The Saturday Evening Post, Collier's, Esquire, Harper's Bazaar. نشرت روايته الأولى "انتظر حتى الربيع يا بانديني" عام 1938م. ظهرت اسأل الغبار في السنة التالية، وفي عام 1940م، نشر مجموعة من القصص القصيرة باسم داجو الأحمر.

في هذه الأثناء، انشغل فانتي انشغالاً تامًا بكتابة السيناريو. بعض من أشهر ما كتب: مفعم بالحياة، نسور جين، رجلي وأنا، القديس المعارض، شيء من أجل رجل وحيد، حبي السادس ونزهة على الطريق الصحراوي.

أصيب جون فانتي بمرض السكري عام 1955م، وفقد بصره متأثرًا بمضاعفاته عام 1978م، لكنه واصل الكتابة بالإملاء على زوجته جويس وكانت النتيجة رواية "أحلام من بنكر هيل" 1982م. توفي عن عمر ناهز 74 عامًا في 1983/ 5/ 8م.

يمكنني تذكّر عددٍ من القصص عن سوء حظ والدي الغريب ككاتب، لكن هذه هي القصة الأبرز حالياً. في الواقع، عام 1939 نشرت شركة ستاكبول (دون إذن من الكاتب) كتاباً يدعى" كفاحي". كان الكاتب هاوياً للأدب في أفضل أحــواله. كان بنــاء جُمَله مشوشاً، أحمق، فقــراته مفككة وكان يميل للحــديث بشكل مسهب عن التفاصيل والهراء. وبالتأكيد كان أدولف هتلر غاضباً من الجميع. لذا كــان قــرار الفــوهرر أن يقاضي شركة ستاكبــول وأبناءه لعــدم الاستئذان بنشر مانيفســتو السجن. لذا فإن المال، الــذي كان من المفــترض أن يُصرف على الدعاية لرواية (اســأل الغبار) عام 1939 ويمنح جــون فــانتي الاعتراف الذي يليق به، صُرف على المحــامين لتسوية معركة قانونية.

كان كتاب والدي منسياً، إلى أن ذكر تشــارلز بوكوفســكي لجون مارتن، صاحب دار نشر بلاك سبارو، أنه سحب نسخة من (اسأل الغبار) من على رفّ عفِن، في مكتبة لوس أنجلس العامة.

دان فانتي

ISBN 978-9938-880-51-9



